معركة الصِنَّبْرَة ١١١٣م / ٥٠٧هـ (بين المسلمين والصليبيين)

د / محمود محمد كامل

مدرس بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة أسيوط

المقدمة:

يتناول هذه البحث بالدراسة معركة مهمة من معارك الحروب الصليبية، وهى معركة الصنبرة التي وقعت عام ١١١٣م/٥٠٧هـ بين المسلمين والصليبيين بالقرب من بلدة الصنبرة الموجودة في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية. وبداية ستعرض الدراسة لأحوال طرفي المعركة حتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ، وخاصة إمارة الموصل التي قادت حركة الجهاد ضد الصليبيين في تلك الفترة. ثم تتطرق الدراسة لتوضيح دوافع المسلمين والصليبيين لخوض هذا القتال، وكذلك عناصر تكوين الجيش الإسلامي والجيش الصليبي، وعدد المقاتلين في كلا الجيشين. ثم عرجت الدراسة إلى مسرح الأحداث وموقع المعركة ودوره في انتصار جيش الأتراك المسلمين وهزيمة الجيش الصليبي، وكذا الأسماء التي اطلقت على هذه المعركة وسبب هذه التسمية. ثم عمدت الدراسة إلى تحديد زمن المعركة على نحو دقيق، حتى يتسنى ربط زمن المعركة بأحداثها، ومن ثم نخرج بالحقائق التاريخية حول هذا الحدث المهم من تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام. كما عالجت الدراسة الهدف الحربي لطرفي المعركة، ثم تحولت إلى تناول أحداثها بتفصيل واضح، مع التركيز على استنباط وتحليل المواقف أكثر من سرد الأحداث ذاتها. وفي نهاية هذه المعركة أوردت خسائر الطرفين فيها وخاصة الطرف الصليبي المنهزم. كما نظرت الدراسة في عوامل انتصار المسلمين، وكذا جوانب إخفاق الصليبيين، والنتائج المترتبة على طرفي النزاع عقب انتهاء هذه المعركة. ولم تغفل الدراسة رؤية المؤرخين القدامى والمحدثين وتقييمهم لهذه المعركة وآرائهم حولها. ثم اختتمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي تم استنباطها طوال مراحلها.

وتأتي أهمية دراسة معركة الصنبرة في كونها معركة مؤثرة هزت أركان الكيان الصليبي في بلاد الشام، ووصلت فيها الجيوش الإسلامية إلى منطقة مركزية من قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية، وذلك في مرحلة مبكرة من حياة الصليبيين في الشرق. وأكدت للصليبيين بشكل قاطع أن وجودهم في وسط محيط إسلامي، يحيط بهم من كافة الجهات، أمر غير مرحب به. أما الأهمية الخاصة والرئيسية لهذه المعركة فتكمن في أن موقعها لم يكن في أطراف مملكة بيت المقدس اللاتينية كبقية المعارك السابقة مع المسلمين، وإنما كانت في قلب الكيان الصليبي ووسط أراضي هذه المملكة. ولهذه الأسباب السابقة تعد معركة الصنبرة نقطة فارقة في حياة الصليبيين على أرض بلاد الشام، ومرحلة جديدة من مراحل المقاومة الإسلامية للغزاة الصليبيين.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعركة لم يتم تناولها في دراسة خاصة مستقلة، وإنما عالجها المؤرخون بصورة مختصرة في ثنايا الكتب التي تناولت تاريخ الحروب الصليبية بصفة عامة، مثل كتاب "تاريخ الحملات الصليبية" لستيفن رنسيمان Steven Runciman[١]، أو كتاب "الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى" للعلامة الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور[٢]. كما عولجت بصورة مختصرة أيضاً في ثنايا الكتب أو المقالات التي تناولت شخصيات بعينها، مثل دراسة الأستاذة الدكتورة عفاف صبرة التي بعنوان "الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي"[٣]. وكذلك دراسة المؤرخ رشيد الجميلي، التي بعنوان "الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢-٥٠٧هـ"[٤]. وأيضاً دراسة المؤرخ عصام سخنيني، والتي بعنوان "طغتكين أتابك دمشق ٤٤٨-٥٢٢هـ/١٠٩٥-١١٢٨م"[٥]. كما ذكرت هذه المعركة بإيجاز أيضاً في صفحات الكتب التي تناولت تواريخ مناطق بعينها، مثل دراسة الدكتور فؤاد الدويكات التي بعنوان "إقطاعية طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي"[٦]. وكذلك دراسة الباحث أسامة احمد عبد الرحمن، التي بعنوان "إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي

من سنة ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م"[٧]. كما أن هناك دراسة مقتضبة للغاية عن هذه المعركة، ولا تفي بحاجة المؤرخ المتخصص، وهى بعنوان "معركة الصنبرة، أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م"[٨] ، والجدير بالذكر أن الدراسة المذكورة آنفاً جاءت في نحو أربعة عشر صفحة فقط .ولا توجد دراسة واحدة مستقلة بذاتها تعرضت لمعركة الصنبرة بشكل كامل من حيث المقدمات، والدوافع، والأهداف العسكرية والاستراتيجية، وتوقيت وزمن المعركة، وأحداثها، ومحاور القتال فيها ثم نتائجها على طرفي الصراع. وعلى هذا، جاءت تلك الدراسة لمعالجة هذه المعركة المهمة وإلقاء الضوء على حدث بارز من أحداث الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام.

في الثاني والعشرين من يوليو عام ١٠٩٩م، الموافق لثاني أيام شهر رمضان عام ٤٩٢هـ، على وجه التقريب، كان الصليبيون قد أتموا تأسيس إمارتين كبيرتين لهم في بلاد الشام هما إمارتي الرها وأنطاكية اللاتينيتين. كما أتموا في ذلك التوقيت وضع أسس مملكة صليبية في بيت المقدس، وشرعوا في انتخاب ملكاً لها. ولم تكن الشعوب الإسلامية في بلاد الشام قد استوعبت بعد خطر الصليبيين على بلادهم وأرضهم. ومن جانبها ضنت المصادر الإسلامية علينا بذكر ردود أفعال المسلمين الأولى على هذا الغزو، ومدى تفاعلهم مع هؤلاء الغزاة الغربيين. وما ورد إلينا عن ردود الأفعال الإسلامية الأولى، جاء في سطور قليلة من كتابات ابن القلانسي[٩]، وابن العديم[١٠] اللذان كتبا مؤلفاتهما بعد مرور فترة من الزمن على أحداث الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م/٤٨٩-٤٩٢هـ)[١١].

فالفاطميون في مصر أدركوا، بعد محاولات مبدئية فاشلة ضد الصليبيين، في الأعوام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، و١١٠١م/٤٩٤هـ، و١١٠٢م/٤٩٥هـ و١١٠٥م/٤٩٨هـ، أن هولاء المسيحيين الغربيين كان هدفهم الاستيطان والبقاء، فسلكوا مسلك التعايش السلمي معهم[١٢]. واقتصرت محاولاتهم الحربية ضدهم، حتى وقت معركة الصنبرة، على تحركات محدودة من داخل مصر أو من عسقلان التابعة لسيطرة الفاطميين آنئذ.

أما السلاجقة في الشرق، فعقب وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه[١٣] عام ١٠٩٢م/٤٨٥هـ دخل السلاجقة في نزاع على العرش. وقسمت السلطنة بين أبناء ملكشاه، فآلت فارس إلى حكم بركياروق بن ملكشاه (١٠٧٩-١١٠٥م/٤٧٢-٤٩٨هـ)[١٤]. في حين أصبحت العراق والجزيرة وسلطنة الشام السلجوقية بحاضرتيها الكبيرتين، الموصل وحلب، تحت حكم محمد بن ملكشاه (١٠٨٢-١١١٨م/٤٧٥-٥٠٥هـ)[١٥]. ووقعت مهمة تعيين أتابك[١٦] الموصل على عاتق السلطان محمد السلجوقي. وبالتالي كانت مهمة التصدي للصليبيين، في رقبة السلطان محمد، في صورة تابعه "أتابك الموصل"[١٧].

تولت الموصل حركة الجهاد ضد الصليبيين في هذه الفترة المبكرة من وجود هؤلاء الغزاة على أرض بلاد الشام. وخرجت من هذه الأتابكية السلجوقية حملات متتابعة ضد الصليبيين منذ وطأت أقدامهم شمالي بلاد الشام. فبداية من حملة كربوغا أتابك الموصل (١٠٩٥-١١٠٢م/٤٨٨-٤٩٥هـ)[١٨] توالت الحملات الموصلية ضد الصليبيين، بقيادة عدد من الأتابكة الأقوياء، حتى تولي شرف الدين مودود(١١٠٨-١١١٣م/٥٠٢-٥٠٧هـ) هذه الأتابكية عام ١١٠٨م/٥٠٢هـ. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأتابك غير معروف النسب على وجه التحديد. ورجح البعض أنه أحد إخوة السلطان محمد نفسه، إلا أن هؤلاء لم يقيما أدلة واضحة على ذلك. وأشار إليه ابن الأثير باسم "مودود بن التونتكين" واسم "مودود بن التونتاش"، وكلاهما التونتكين والتونتاش، غير معروف[١٩]. وبتولي هذا الرجل أتابكية الموصل بدأ الصراع ضد الصليبيين يأخذ بعداً جديداً. فبدلاً من سياسة الدفاع التي انتهجتها المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، انتهج مودود سياسة الهجوم على الصليبيين. وسير الحملات من الموصل ضد هؤلاء الغزاة، بداية من عام ١١١٠م/٥٠٤هـ وحتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. وكانت أهم أحداث حملات مودود هو معركة الصنبرة عام ١١١٣م/٥٠٧هـ.

وعلى الجانب الصليبي فقد ضمت الحملة الصليبية الأولى جنوداً من أصول مختلفة، وأسست إمارات منفصلة بل ومتعارضة أحياناً. ولم يكن التضامن يعرف طريقه إلى القادة الصليبيين إلا في أوقات المحن الشديدة التي يتعرض فيها الكيان الصليبي كله للخطر[٢٠]. فإمارة الرها، منذ تأسيسها عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ، كانت في نزاع شبه دائم مع جيرانها المسلمين. فمنذ تولي بلدوين البويوني Baldwin of Bouillon[٢١] حكمها ثم بلدوين البورجي Baldwin of Burge[٢٢] كانت دائماً خط الدفاع الأول ضد المسلمين في العراق والجزيرة. وكثيراً ما وقعت تحت حصار قوات أتابكة الموصل. وكان آخر حصار فرض على الرها قبل معركة الصنبرة هو حصار عام ١١١١م/٥٠٣هـ ، ولكنه كان حصاراً غير ناجح بسبب سرعة وصول النجدات العسكرية إلى الرها من قوات إمارتي أنطاكية وطرابلس وقوات مملكة بيت المقدس الصليبية[٢٣].

أما إمارة أنطاكية الصليبية، فعقب عودة أميرها بوهيموند[٢٤] إلى أوربا عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ، أخذ ابن أخته تانكرد Tancred[٢٥] يعمل على توسيع رقعة أنطاكية في كل الاتجاهات. وبعد عام ١١١١م/٥٠٥هـ، وأثناء غياب تانكرد في حملة ناحية الرها شرقاً، حاول رضوان[٢٦]، حاكم حلب، الهجوم على أطراف أنطاكية. وعندما عاد تانكرد من الرها أخذ ينتقم من رضوان، ويضرب ويبطش في كل أرجاء المنطقة المحيطة بحلب، بل وفرض مبلغاً ضخماً من المال على أهالي حلب، مما ضيق على الناس في معيشتهم، فتمردوا على رضوان، وحاولوا إيجاد حل لما هم فيه. فانتفض وفد شعبي من أهالي حلب وساروا إلى الخليفة العباسي في بغداد. وحاولوا إثارة الخليفة للرد على اعتداءات الصليبيين على أهالي حلب وعلى المسلمين في كافة أرجاء بلاد الشام[٢٧]. وكان يتزعم هذا الوفد الشعبي الحلبي قاضي حلب الشيعي ويدعى"ابن الخشاب"[٢٨].

وفيما يخص إمارة طرابلس الصليبية، فعقب تأسيسها عام ١١٠٩م/٥٠١هـ، تولى حكمها برتراند التولوزي Bertrand of Toulouse (١١٠٩م-١١١٢م/٥٠١-

٥٠٤هـ)[٢٩]. وبعد موت برتراند عام ١١١٢م/٥٠٤هـ تولى ابنه بونز Pons (١١١٢-١١٢٧م/٥٠٤-٥٢١هـ)[٣٠] الذي أبدى تعاوناً فعالاً مع حكام مملكة بيت المقدس من أجل الحفاظ على حياة المملكة في وقت الأزمات والمعارك الكبيرة مع المسلمين[٣١].

أما مملكة بيت المقدس الصليبية فقد كان الملك بلدوين الأول يسعى لتثبيت أركان هذه المملكة الاستيطانية. فقد تغلب على الفاطميين في عدد من المعارك في أعوام ١١٠١م/٤٩٤هـ، و١١٠٢م/٤٩٥هـ، و١١٠٥م/٤٩٨هـ[٣٢]. كما قاد عدة حملات غرباً حتى ساحل البحر المتوسط ما بين عامي ١١٠٣م/٤٩٦هـ و ١١٠٩م/٥٠٣هـ، وشرقاً فيما وراء نهر الأردن والبحر الميت، وجنوباً حتى مصر فيما بين أعوام ١١١٥م/٥٠٩هـ و١١١٧م/٥١١هـ. وأعطى هذا الملك اهتماماً خاصاً بمدن الساحل الشامي، فقد أخضع عدد كبير من هذه المدن فيما بين عامي ١١٠٩م/٥٠٢هـ و١١١٣م/٥٠٧هـ[٣٣]. وبعد عام ١١١٠م/٥٠٣هـ دخل بلدوين في نزاع على مدينة صور مع ظهير الدين طغتكين (١١٠٥-١١٢٩م/٤٩٨-٥٢٣هـ) حاكم دمشق. الأمر الذي أدي ببلدوين إلى مضايقة دمشق وأهلها وحاكمها، فضاقت الأحوال بالناس وبلغت حداً لا يمكن احتماله. وأمام ذلك استعان طغتكين بشرف الدين مودود حاكم الموصل ضد اعتداءات بلدوين. وقد لبى مودود النداء وقاد حملتين كبيرتين على الصليبيين في بلاد الشام، احداهما سنة ١١١١م/٥٠٥هـ وهذه لم تكتمل بسبب الخلافات الداخلية بين قادة الجيش، أما الحملة الثانية فكانت عام ١١١٣م/٥٠٧هـ، والتي انتهت بانتصار المسلمين في معركة تاريخية هى معركة الصنبرة، محل الدراسة[٣٤].

وهكذا توافر الدافع الشعبي والرسمي وكذلك دافع الجهاد لدي المسلمين لقتال الصليبيين. أما الدافع الأول، وهو الدافع الشعبي، فقد تمثل، كما ذكرنا، في زيارة وفد حلب الشعبي بزعامة القاضي ابن الخشاب إلى الخليفة العباسي في بغداد. وقد ذاع صيت هذا الوفد الشعبي المطالب برفع راية الجهاد ضد الصليبيين، وألهب حماس أهل

العراق أنفسهم. واضطر السلطان محمد بن ملكشاه، أمام التيار الشعبي الجارف، إلى تلبية مطالبهم وتسيير الجيوش لقتال الصليبيين في بلاد الشام. وكلف أحد نبلاء الأتراك المسلمين وهو شرف الدين مودود، أتابك الموصل، للقيام بهذه المهمة[٣٥].

أما الدافع الثاني، وهو الدافع الرسمي، فقد تمثل في وفد أرسله طغتكين، حاكم دمشق، إلى مودود يستنجد به من تعنت واعتداءات بلدوين الأول. ففي عام ١١١١م/٥٠٥هـ حاصر الملك بلدوين مدينة صور التابعة للدولة الفاطمية في ذلك الوقت. فتصدى أهل المدينة بقوة لقوات بلدوين، وسلموا المدينة لطغتكين حاكم دمشق، بعد أن يئسوا من تلقي المساعدات من الفاطميين. وأمام هذا احتدم الصراع بين طغتكين وبلدوين الأول. وضيق بلدوين على أهالي دمشق بالاعتداءات المتكررة على أطراف هذه المدينة. الأمر الذي دفع طغتكين إلى مراسلة مودود والاستنجاد به. وما أن وصلت إلى سماع مودود هذه الاستغاثة حتى رحب بها، ولبى نداء طغتكين، ورفع راية الجهاد ضد الصليبيين[٣٦].

أما الدافع الثالث والأهم، بل الدافع الرئيسي الذي حرك معظم أفراد جيش المسلمين، هو دافع الجهاد. وكانت أفعال الصليبيين العدوانية هي سبب تزايد نداءات الجهاد بين المسلمين. فمنذ مذبحة بيت المقدس التي أجراها الصليبيون في مسلمي القدس يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩م/ ٢٤ شعبان ٤٩٢هـ، وما أعقبها من ظلم وجور واعتداء وبطش تجاه المسلمين، والمسيحيين واليهود من سكان بلاد الشام المحليين، حتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ، ومع كل ذلك الإيذاء والقهر، أخذ شعور الجهاد يتزايد ويتنامى يوماً بعد يوم بين المسلمين[٣٧]. وما أن دعَّم هذا الدافع دعوة الوفد الشعبي بزعامة ابن الخشاب، وكذلك استنجاد طغتكين بمودود ودعوته لجهاد الصليبيين، حتى خرج المسلمون من العراق، جيشاً يتلو الآخر، لقتال الصليبيين وردهم عن أفعالهم.

وهناك من يشير إلى وجود دوافع شخصية حركت قادة المسلمين للقتال. فقد أقر رينيه جروسييه René Grousset بأن مودود كان يسعى سعياً حثيثاً لمحاولة تحقيق أي انتصار بعد فشل حملتي عام ١١١٠م/٥٠٣هـ وعام ١١١١م/٥٠٤هـ[٣٨]. ونحن نقر بدافع التحرك الشخصي من جانب مودود ما دام تحركاً يخدم حركة الجهاد ضد الصليبيين.

أما المؤرخ الغربي هانز إبرهارد ماير Hans Eberhard Mayer فقد كان أكثر موضوعية وواقعية، إذ قال بأن مودود كان يرغب في تنظيم ائتلاف إسلامي كبير لإقتلاع جذور الصليبيين من الشرق[٣٩]. وأياً كان رأى هؤلاء المؤرخين، فإن الدوافع الشخصية في داخل نفس مودود كان المحرك الرئيسي لها الرغبة في الجهاد.

وأمام كل ذلك قام مودود بثلاث حملات علي الصليبيين، كان أهمها وأخطرها حملة عام ١١١٣م/٥٠٧هـ والتي وصل فيها الجيش الإسلامي إلى قلب مملكة بيت المقدس الصليبية، واختتمت بوقعة الصنبرة[٤٠].

وفيما يتعلق بدوافع الجانب الصليبي للقتال في معركة الصنبرة، فيمكن تقسيمها إلى دوافع روحية، ودوافع عسكرية ثم دوافع استراتيجية، وذلك كله من واقع طبيعة حملة مودود عام ١١١٣م/٥٠٧هـ، والتي توغلت إلى قلب المملكة. أما الدوافع الروحية عند الصليبيين، فيمكن القول أن منطقة الجليل، التي كانت هدفاً لحملة مودود، قد ضمت بداخلها مدينة طبرية وبحيرتها المعروفة ببحيرة طبرية، والجميع يعرف القدسية الخاصة لبحيرة طبرية عند المسيحيين في الشرق والغرب[٤١]. فهذه البحيرة محطة الكثير من الأنبياء والقديسين، وخاصة القديس بطرس St. Peter[٤٢] الذي كان يعمل صياداً للسمك في بحيرة طبرية. بل إن منطقة الجليل ذاتها هي مهد السيد المسيح (عليه السلام)[٤٣]. ومن هذا المنطلق يمكن تفسير سبب تعجل بلدوين وإسراعه لمقابة قوات مودود جنوبي بحيرة طبرية.

وبالنسبة للدوافع العسكرية عند الصليبيين فقد تمثلت في الرغبة في الانتقام لهزيمتهم الكبيرة في معركة حران المعروفة عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ[٤٤]. ففي هذه المعركة استطاع المسلمون تحقيق انتصار كبير على الصليبيين، ووقع بعض كبار أمرائهم في الأسر مثل بلدوين البورجي أمير الرها ورفيقه جوسلين Joscelin[٤٥]. وعلى هذا، فربما رغب الصليبيون، وخاصة ملكهم بلدوين الأول، في الانتقام لهزيمة حران القاسية من خلال معركة الصنبرة.

كذلك هناك دوافع استراتيجية حركت الصليبيين للقتال في الصنبرة، أو بالأحرى للدفاع في الصنبرة، حيث أنهم آنئذٍ كانوا في موقف الدفاع والمسلمون في موقف الهجوم. وهذه الدوافع الاستراتيجية تمثلت في موقع المنطقة التي وقع فيها القتال. فمنطقة جنوب بحيرة طبرية تعد مدخلاً لمملكة بيت المقدس الصليبية من الشرق إلى الغرب عبر جسر الصنبرة الذي يقطع نهر الأردن قبل إلتقائه ببحيرة طبرية مباشرة من ناحية الجنوب[٤٦]. فمن يعبر هذا الجسر يمكن أن يصل بسهولة إلى الساحل الشامي عبر سهول وسط فلسطين. كما يمكنه العبور جنوباً بسهولة أيضاً حتى القدس. وتجدر الإشارة إلى أن الصليبيين لم يتنبهوا بشكل كبير لمدخل، أو بالأحرى، لثغرة جنوب بحيرة طبرية. فلم يشيدوا حصناً قوياً أو قلعة في هذه المنطقة حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر[٤٧]. ولهذا كان على بلدوين الإسراع ناحية جسر الصنبرة لمنع توغل مودود داخل قلب المملكة.

واختلفت عناصر تكوين كلا الجيشين الإسلامي والصليبي فى الصنبرة. فقد ضم جيش المسلمين جنوداً من الموصل ودمشق وحمص وحماة ورفنية[٤٨]. وفي أثناء المعركة انضم إلى جيش المسلمين عناصر من العرب الطائيين[٤٩]، والكلابيين[٥٠] والخفاجيين[٥١]. كما وصلت فرقة من قوات حلب قوامها مائة فارس، أرسلها رضوان حاكم حلب. غير أن مودود استنكر ذلك السلوك، لأن رضوان كان قد وعد بالمشاركة منذ بداية الحملة وبقوات أكثر عدداً من هذه. ومقابل ذلك التصرف أبطل مودود الدعوة

لرضوان على المنابر[٥٢]. وكان قادة الجيش الإسلامي هم تميرك صاحب سنجار[٥٣]، والأمير إياز بن إيلغازي حاكم ماردين[٥٤]، وظهير الدين طغتكين حاكم دمشق[٥٥]، ثم شرف الدين مودود أتابك الموصل والقائد الرئيسي للمعركة.

أما على الجانب الصليبي، فقد تكون الجيش من قوات مملكة بيت المقدس بقيادة الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١١هـ)، وقوات إمارة أنطاكية بقيادة أميرها روجر Roger (١١١٣-١١١٩م/٥٠٧-٥١٣هـ)[٥٦]، ثم قوات إمارة طرابلس الصليبية بقيادة أميرها بونز Pons (١١١٢-١١٢٧م/٥٠٥-٥٢١هـ)[٥٧]. أما عسكر الرها بقيادة بلدوين البورجي فلم تستطع المشاركة، لأن الرها كانت بحاجة إلى حماية شبه دائمة، بسبب محيط المسلمين الذي يحيط بها من كل الجهات[٥٨]. أما الفصيل الصليبي الأخير، الذي حضر ولكنه لم يشارك، فهو وفود الحجاج الغربيين الذين حطت سفنهم في ميناء عكا وقت المعركة وتسلحوا استعداداً لها. وكان يمكن لهذه القوات أن تشارك لولا أن المعركة حسمت قبل وصولهم موقع القتال[٥٩].

أما عدد قوات الجانب الإسلامي فغير معروف على وجه التحديد[٦٠]، إلا أن وليم الصوري William of Tyre وصف جيش المسلمين بقوله "وكان في ركابه (يقصد مودود) قوات كثيرة، يعجز العد عن إحصائها"[٦١]. كما وصف ابن القلانسي عدد قوات القبائل العربية التي انضمت لجيش المسلمين أثناء المعركة بأنهم "وفدوا في أعداد كبيرة"[٦٢]. وإذا نظرنا إلى تكوين قوات هذا الجيش الإسلامي، وجدناه يضم قوات من الموصل، وسنجار، وماردين، ودمشق، وحمص، وحماة، ورفنية، وحلب بالإضافة إلى القبائل العربية القاطنة في المناطق التابعة للصليبيين، وإذا أمعنا نظرنا في ذلك أدركنا أن عدد قوات الجيش الإسلامي كان كبيراً. وأكد ذلك ما ذكره ألبرت الأيكسي Albert of Aix وليم الصوري أنه في بداية المعركة دفع المسلمون بنحو ألفي فارس، كدفعة أولى، لمناوشة الصليبيين[٦٣]. وما دامت الدفعة الأولى مكونة من هذا العدد الضخم من الفرسان، فإن بقية الجيش الإسلامي، بطبيعة الحال، كان أضعاف هذا العدد.

وعلى الجانب الصليبي، بلغ عدد قوات مملكة بيت المقدس بقيادة بلدوين الأول نحو (٧٠٠ فارس) و (٤٠٠٠ من المشاة)[٦٤]. وفي أثناء المعركة انضمت إلى قوات بلدوين قوات أخرى من إمارة أنطاكية بقيادة روجر حاكم أنطاكية. وبلغ عددها نحو (٤٠٠ فارس) و (٦٠٠ من المشاة)[٦٥]. وكذلك انضمت إليه قوات من إمارة طرابلس بقيادة أميرها بونز، وعددها غير معروف على وجه التحديد[٦٦].

ومن الواضح أن التفوق العددي كان لصالح الجيش الإسلامي، وقد أقر بذلك وليم الصوري، ولكن بصورة غير مباشرة، عندما قال "فما كاد الفرس (يقصد جيش المسلمين) يكتشفون ذلك (يقصد رؤيتهم لجيش بلدوين)، حتى أدركوا أنهم في حاجة إلى التدبير الحربي أكثر من حاجتهم إلى الوفرة العددية"[٦٧]. ومع الوضع في الاعتبار عدم اشتراك حلب بكامل قواتها، كما ذكرنا آنفاً. وإذا كانت حلب قد شاركت بكامل قواتها إلى جانب قوات الموصل ودمشق، لربما تغير وجه التاريخ، وقضى على الحركة الصليبية في مهدها. فإتحاد هذه الحواضر الضخمة (الموصل وحلب ودمشق) يعني وحدة بلاد الشام في وجه العدو الصليبي، ولكن هذا لم يحدث فعلياً إلا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري.

أما عن موقع المعركة، فقبل الحديث عنه سنعرج سريعاً على خط سير الجيش الإسلامي والصليبي، وصولاً إلى بلدة الصنبرة[٦٨]، موضع هذه المعركة، والتي تقع جنوب –غرب بحيرة طبرية. والواقع أن المصادر الإسلامية لم توضح خط السير الدقيق لجيش المسلمين من الموصل، وصولاً إلى موقع المعركة. فابن الأثير اكتفى بذكر أن الجيش الإسلامي تحرك من الموصل حتى نزل إلى بلدة مرج سلمية[٦٩]. ثم نزل جنوباً حتى الإقحوانة[٧٠]، جنوبي بحيرة طبرية. أما ابن القلانسي فقد وصف خط سير جيش المسلمين، ولكنه أعطى أسماء أماكن غير معروفة مر بها الجيش حتى وصل إلى الصنبرة ثم عبر نهر الأردن إلى الإقحوانة[٧١]. أما فوشيه الشارتري ووليم الصوري فقدموا خط سير واضح وصحيح سلكه جيش الأتراك المسلمين، خاصة من شمالي بلاد

الشام، وجنوباً، وصولاً إلى الإقحوانة. فقد ذكرا أن هذا الجيش عبر الفرات في أبريل عام ١١١٣م / ذي القعدة عام ٥٠٦هـ، حتى وصل إلى شرقي أنطاكية. ثم هبط جنوباً حتى مرج سلمية. واستمر الجيش في التحرك جنوباً فكانت دمشق على يساره وصور عن يمينه. ثم نزل حتى بانياس[٧٢]، ومنها إلى بلدة طبرية[٧٣] على الضفة الغربية لبحيرة طبرية. ثم تحركوا جنوباً وداروا حول بحيرة طبرية حتى وصلوا إلى الإقحوانة، ونصبوا خيام معسكرهم فيها[٧٤].

وعلى الجانب الصليبي، فقد كان بلدوين الأول يعسكر بقواته عند عكا على ساحل البحر المتوسط. وعندما تنامى إلى سمعه خبر جيش مودود وطغتكين وأن هدفهما الوصول إلى بحيرة طبرية، أسرع بقواته من عكا شرقاً حتى بلدة الصنبرة الموجودة عند جسر الصنبرة[٧٥]. وضرب خيام معسكره غربي هذا الجسر مباشرة. ومن الواضح أن وصول جيش بلدوين كان سهلاً، حيث أنه تحرك شرقاً من ناحية الغرب، عبر سهول وسط فلسطين، وحتى جسر الصنبرة على نهر الأردن[٧٦].

وهكذا يمكن التحقق من الموضع النهائي لكلا الجيشين، وبالتالي التحقق من الموقع الدقيق للمعركة. وكما ذكرنا سابقاً، فقد وصل جيش الأتراك المسلمين إلى منطقة الإقحوانة، وهذه المنطقة عبارة عن شبه جزيرة تقع جنوبي بحيرة طبرية، وتحدها مياه نهري اليرموك والأردن من الجنوب والجنوب الغربي، كما تحدها مياه بحيرة طبرية من الشمال. وليس لها ممر ناحية مملكة بيت المقدس الصليبية إلا عبر جسر الصنبرة، القائم فوق نهر الأردن[٧٧]. ولهذا فهى موضع آمن لضرب خيام أي من الجيشين. ويبدو أن الإقحوانة كانت هدفاً للجيش الإسلامي والصليبي على السواء، وتسابق كلا الجيشين في الوصول إليها، ولكن دون أن يدري أي منهما أن الآخر يقصد الإقحوانة على وجه التحديد[٧٨]. ولقد سبق المسلمون إلى هذه المنطقة الحصينة. أما الجيش الصليبي بقيادة بلدوين الأول، فوصل متأخراً، وعندما وجد أن جيش المسلمين قد سبق إلى الإقحوانة، ضرب خيام جيشه أمام جسر الصنبرة مباشرة من ناحية الغرب[٧٩]. ودارت المعركة في

المنطقة الواقعة ما بين الجسر وبلدة الصنبرة التى تقع إلى الغرب قليلاً من الجسر، وجنوباً حتى جبل طابور[٨٠] الواقع إلى الجنوب من بلدة الصنبرة. وما بين جبل طابور والصنبرة وادي عميق نسبياً، من المحتمل بشكل كبير أنه "وادي الفجاس[٨١]، حالياً". وإلى الشمال من بلدة الصنبرة توجد تلال ترتفع ثم تنخفض بإنحدار ناحية بحيرة طبرية[٨٢]. وموقع المعركة هو في الأساس منطقة أحراش ومرتفعات ومنخفضات ومياه محيطة به من عدة جهات[٨٣]. وعلى هذا، فهذه المنطقة صالحة بشكل كبير لصنع الكمائن التي برعت فيها جيوش السلاجقة الأتراك. وفي المقابل فهى منطقة غير صالحة لجيوش ثقيلة العدة والعتاد والتسليح كالجيوش الصليبية التي تبرع في القتال في الأماكن المتسعة السهلية[٨٤]. وهكذا يتضح أن موقع المعركة كان في صالح جيش المسلمين، ولم يكن في صالح جيوش الصليبيين الثقيلة بشكل واضح.

ومن هذا الموقع أخذت معركة الصنبرة الأسماء العديدة التي أطلقت عليها. والجدير بالذكر أن المصادر القديمة جميعها، الإسلامي واللاتيني منها، لم تشر إلى معركة الصنبرة بإسم محدد. ولكنهم أشاروا إلى موقع المعركة بصفة عامة. أما المؤرخين المحديثن، فهناك من أطلق عليها اسم "معركة الصنبرة"[٨٥]، نسبة إلى بلدة الصنبرة التي وقعت حولها المعركة. أما معنى كلمة الصنبرة فغير معروف. وهناك من أطلق عليها اسم "معركة سن النبرة Sinn en-Nabra"[٨٦]، وهو اسم غير معروف أيضاً. ولكن من الواضح أن هذا الاسم تفتيت لكلمة "صنَّبْرَة" إلى "صن" و "نبرة". وهناك من ذكرها باسم "معركة الإقحوانة"[٨٧]، ومن الواضح أن هذا الاسم الأخير نسبة إلى منطقة الإقحوانة المجاورة لموقع المعركة، والتي عبارة عن شبه جزيرة كما سبق القول[٨٨].

وعلى أية حال، فالأسماء التي أخذتها المعركة كلها صحيحة ومناسبة، ولكن اسم "معركة الصنبرة"، على وجه التحديد، هو الاسم الأنسب لها. فالقتال لم يحدث في الإقحوانة، ولا فوق جسر الصنبرة، ولا في بلدة الصنبرة، ولكنه وقع في منطقة مجاورة لهذه البلدة، وبالتحديد في "وادي الفجاس" والمنطقة الواقعة بين بلدة الصنبرة وجبل

طابور. ويبدو أن اللقاء، في المرحلة الأولى منه، بدأ في الوادي، ثم اتسعت مساحة القتال فاقتربت من بلدة الصنبرة. ولهذا أخذت اسمها من هذه البلدة. ثم انتقل القتال في المرحلة الثانية من المعركة شمالاً إلى مدينة طبرية الواقعة إلى الشمال من بلدة الصنبرة. وهذه المرحلة كانت أشبه بالحصار أكثر من القتال المباشر. وعلى هذا فاسم "معركة الصنبرة" هو الأنسب والأكثر اتساقاً مع واقع الأحداث.

أما عن التحديد الدقيق لزمن المعركة، فيمكن القول أن هذا اللقاء استغرق أكثر من ٧٠ يوماً تقريباً منذ وصول القوات الإسلامية والصليبية إلى منطقة الصنبرة. وقد أجمع ابن القلانسي وابن الأثير على أن مودود عبر الفرات استعداداً لهذه المعركة في أواخر ذي القعدة عام ٥٠٦هـ / أواخر أبريل عام ١١١٣م(٨٩). ووصلوا إلى منطقة الصنبرة يوم ١٣ محرم عام ٥٠٧هـ / ٢٩ يونيو عام ١١١٣م(٩٠). وهو ما يعني أن تحرك مودود من الموصل وبقائه فترة غير معروفة حول مدينة الرها، ثم وصوله إلى مرج سلمية ولقائه بطغتكين، ثم تحركهم معاً جنوباً بمحاذاة بحيرة طبرية عن يسارهم، حتى وصولهم إلى منطقة الصنبرة، قد استغرق ما يقرب من شهرين. وهذا أمر طبيعي للمحطات التي توقف عندها جيش مودود والتي ذكرناها في الصفحات السابقة.

وعلى الجانب الصليبي، ذكر ألبرت أن بلدوين الأول وصل إلى بلدة الصنبرة في وقت ما قبل يوم ٢٨ يونيو عام ١١١٣م / ١٣ محرم عام ٥٠٧هـ. ثم قرر أن يضرب خيام معسكره في الجهة الغربية المقابلة لجسر الصنبرة مباشرة. وذلك في يوم ٢٩ يونيو عام ١١١٣م الموافق ١٤ محرم عام ٥٠٧هـ. وبعد يوم واحد من بدء المعركة وصلت قوات أنطاكية وطرابلس في يوم ٣٠/٢٩ يونيو عام ١١١٣م الموفق ١٤/١٣ محرم عام ٥٠٧هـ(٩١). في حين جعل جروسييه بدء المعركة في يوم ٢٠ يونيو عام ١١١٣م الموافق ٤ محرم عام ٥٠٧هـ(٩٢). وهو ما يعني أن هناك ثمانية أيام قدمها جروسييه على ميعاد المعركة. وهو بذلك ربما ضمنها فترة القتال التي وقعت بين قوات الأتراك المسلمين وحامية بلدة طبرية (قبل وصول قوات بلدوين الأول) ثم فترة

المناوشات التي وقعت بين الباحثين عن الأعلاف من المعسكر الإسلامي والذين خرجوا من الإقحوانة وعبروا جسر الصنبرة وهم لا يعلمون بوصول قوات بلدوين الأول وفوجئوا بوجودهم، فاصطدموا معهم بعد عبورهم للجسر[٩٣]. وهكذا اعتبر جروسييه أن المعركة بدأت منذ وصول جيش مودود إلى بلدة طبرية المجاورة لساحل بحيرة طبرية الغربي، التي تبعد حوالي ١٩ كيلومتراً عن بلدة الصنبرة.

استمرت المعركة يوم ٢٨ و ٢٩ يونيو الموافق ١٢ و ١٣ محرم. ثم تراجع الصليبيون إلى الشمال الغربي حتى وصلوا إلى أعالي مرتفعات غربي طبرية، واستقروا فوقها، والمسلمين محاصرين لهم لمدة ٢٦ يوماً[٩٤]. وحدد ابن القلانسي الفترة بدء المعركة يوم ١١ إلى ١٣ محرم عام ٥٠٧هـ الموافق ٢٨ إلى ٢٩ يونيو عام ١١١٣م، كما حدد نهاية الحصار الذي فرضه مودود على الصليبيين فوق المرتفعات الواقعة غربي طبرية في أواخر صفر عام ٥٠٧هـ، الموافق منتصف أغسطس عام ١١١٣م تقريباً[٩٥]. الأمر الذي يعني أن فترة المعركة كاملة استغرقت نحو ما يزيد على شهر ونصف. ثم حدد ابن الأثير وصول مودود إلى دمشق، بعد انتهاء حصاره للصليبيين السالف الذكر، في يوم ٢١ ربيع الأول عام ٥٠٧هـ الموافق ٤ سبتمبر عام ١١١٣م[٩٦]. وهذا يعني أن الفترة من منتصف أغسطس وحتى ٤ سبتمبر، التي تبلغ نحو ١٩ يوماً، قد قطعها جيش المسلمين أثناء عودته من طبرية إلي دمشق شمالاً.

ويتضح من تحديد زمن المعركة أن مودود كان موفقاً بشكل كبير في اختيار شهري يونيو ويوليو للقتال. فدرجة الحرارة في هذين الشهرين مرتفعة بشكل كبير وهي أوقات لا يحبذ الصليبيون القتال فيها. أما الشرقيون في الجيش الإسلامي فهم معتادون على هذه الأجواء الحارة بحكم أنهم أصحاب البلد الأصليين على عكس الغزاة الصليبيين. وهكذا وكما في معركة حطين[٩٧] الشهيرة، اجتمع على الصليبيين الحر والعطش.

أما الأهداف العسكرية فقد اختلفت عند كلا الطرفين عن الآخر. ففي الجانب الإسلامي كان هدف قوات الأتراك المسلمين منطقة فلسطين. فهذه المنطقة، بالإضافة إلى دمشق وحلب شمالاً، تمثل انعزالاً للكيان الصليبي عن جزء رئيسي من جسد هذا النظام، ونعني به إمارة الرها الصليبية[٩٨]. وبذلك تتفتت الكتلة الصليبية إلى قسمين، شرقي وغربي، مما يسهل التعامل مع كل قسم على حدة. كذلك كان للمسلمين هدف عسكري على درجة كبيرة من الأهمية ونعني به السيطرة على المنطقة الوسطى من مملكة بيت المقدس والتي تحوي الطرق الرئيسية من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق، كما تحوي السهول الوسطى المعروفة بخصوبتها والتي تخترقها العديد من الوديان[٩٩] التي تمثل طرقاً رائعة من الساحل الشامي إلى الداخل. كذلك هدفت القوى الإسلامية إلى ضرب القوى الصليبية مجتمعة في معركة فاصلة وحاسمة. وهناك هدف عسكري رابع للمسلمين وهو وقف التهديد المستمر لمدينة دمشق من جانب قوات مملكة بيت المقدس الصليبية بقيادة الملك بلدوين الأول، وذلك بضرب هذه القوات في العمق الصليبي في وسط مملكة بيت المقدس. والجدير بالذكر أن دمشق هى المدخل الطبيعي إلى قلب مملكة بيت المقدس الصليبية حتى بانياس. فالجيش الذي يخرج من دمشق ويتحرك حتى بانياس يصبح على الطريق الرئيسي المؤدي غرباً إلى صور وصيدا على ساحل البحر المتوسط[١٠٠].

وعلى الجانب الصليبي كان الهدف العسكري عند الصليبيين على الدوام، إما الدفاع عن الأراضي التي احتلوها، أو اكتساب أراضٍ جديدة. وبصفة عامة، كان امتلاك الأراضي هو هدف الصليبيين الأوائل الذين جاءوا مع الحملة الصليبية الأولى[١٠١]. وعلى هذا كان قدوم جيوش مودود وطغتكين مفاجئة صادمة لبلدوين الأول، حتى أنه لم يتمالك عنصر الصبر والتريث وأسرع لمهاجمة الجيش الإسلامي دون أن ينتظر وصول التعزيزات العسكرية القادمة من إمارتي أنطاكية وطرابلس. وبناء على ذلك كان هدف الجيش الصليبي هذه المرة هو الدفاع عن الأرض وليس الاستيلاء على أرض جديدة.

ومن ثم فإن الهدف العسكري للصليبيين كان صنيعة الهدف العسكري للجيش الإسلامي المتمثل في الوصول إلى قلب مملكة بيت المقدس الصليبية[١٠٢]. كما أسرع بلدوين أيضاً للقتال بهدف إنقاذ منطقة منطقة طبرية الحيوية والتي تعد المدخل الشرقي إلى داخل أراضي مملكة بيت المقدس. كما لا تخفى على أحد أهمية طبرية وبحيرتها من الناحية الدينية. فمعظم مآثر وأعمال السيد المسيح والقديسين قد وقعت حول بحيرة طبرية، حتى أن البعض أطلق عليها اسم "بحيرة المسيح"[١٠٣]. وذلك كله بالإضافة إلى أهمية بحيرة طبرية ذاتها بأسماكها الشهية، بالإضافة إلى حماماتها الدافئة والتي تستعمل للشفاء من بعض الأمراض[١٠٤]. كل هذه الأمور مجتمعة هي التي دعت بلدوين إلى التحرك لأنقاذ طبرية وبحيرتها من الوقوع في أيدي المسلمين. وكان هذا بمثابة الهدف العسكري الثاني لبلدون بعد إنقاذ أراضي المملكة ذاتها من الوقوع في أيدي المسلمين.

أما الأهداف الاستراتيجية لطرفي المعركة (الإسلامي والصليبي) فقد اختلفت عند كل طرف عن الآخر. والمعروف أن الأهداف الاستراتيجية لأى جيش تحددها الأهداف العسكرية والتنظيم السياسي والاجتماعي وطبيعة تسليح الجيش الآخر[١٠٥]. وقد كان للجيش الإسلامي في معركة الصنبرة أهداف استراتيجية أهمها إجبار القوات الصليبية على المرور عبر وادٍ ضيق تعلوه المرتفعات من الجانبين. وعند مرورهم عبر هذا الوادي الضيق يمكن الانقضاض عليهم من أعالي الجبال[١٠٦]. وهذا ما حدث بالفعل، وكانت نتائجه كارثية على الجيش الصليبي.

كذلك كان لجيش الأمير مودود هدف استراتيجي على درجة كبيرة من الأهمية، وهو استغلال طبيعة المنطقة وجغرافيتها إلى أبعد حد. فهذا الوادي الضيق السالف الذكر، والذي يمر بين التلال المرتفعة، كان بمثابة منطقة مثالية لصنع الكمائن للجيش الصليبي المار عبر هذا الوادي. فمن الجنوب الغربي جبل طابور المرتفع، ومن الشمال الشرقي المرفعات القائمة فوق بحيرة طبرية. وبذلك يحشر الجيش الصليبي في منتصف الوادي، ولا يكون لهم مخرج بين الجبلين ولا بين ممرات الوادي التي يحاصرها

المسلمون من كافة الجهات، إلا ناحية نهر الأردن. وبذلك يكون أمام الصليبيين أمرين، إما القتل وإما الغرق في مياه النهر(١٠٧). وعلى هذا ينطبق على الطرفين المتحاربين مقولة " أهل مكة أدرى بشعابها". فالمسلمون أصحاب الأرض الحقيقيين هم أدرى بدروب وممرات بلادهم، على عكس الصليبيون الغزاة الذين انساقوا، دون دراية ومعرفة بالمنطقة، إلى داخل الوادي الضيق، فكانت هزيمتهم.

ومن الأهداف الاستراتيجية لجيش المسلمين أيضاً محاولة استغلال الموقع المتميز لشبه جزيرة الإقحوانة. وتظهر أهمية هذا الموقع في محاولة كلا الجيشين، الإسلامي والصليبي، الوصول إليه قبل الآخر. فالإقحوانة تشكل حماية طبيعية لمن يسيطر عليها. وهذا ما حدث مع جيش المسلمين، فقد وفرت لهم الإقحوانة حماية طبيعية. وكما ذكرنا سابقاً، لم يكن هناك ممر يمكن أن يصل منه الصليبيين إليهم إلا عن طريق جسر الصنبرة(١٠٨). ولهذا السبب عمل المسلمون على تأمين هذا الجسر، وذلك بأن بادروا بإرسال ألفين من مقاتليهم لعبور الجسر بهدف إنهاك جيش بلدوين واستفزازه لأقصى درجة، ومحاولة إيقاعه في عدد من الكمائن التي تفت في عضد الجيش الصليبي وتحطم معنويات أفراده(١٠٩). وكما ذكرنا آنفاً أن وليم الصوري أشار إلى أن المسلمين فضلوا التدبير على المواجه المباشرة منذ بداية المعركة عندما رأوا بأس جيش بلدوين(١١٠). وهذا بالطبع قول يجافي الحقيقة، وفيه نبرة غطرسة ونعرة تكبر من وليم. فإذا كان المسلمون يخشون جيش بلدوين لما حضروا بجيوشهم إلى قلب مملكته لقتاله. فالمهاجم هنا جيش المسلمين، أما جيش بلدوين فكان في موقف المدافع.

وعلى الجانب الصليبي، كان للصليبيين أيضاً أهدافاً استراتيجية مختلفة عن أهداف المسلمين. فبلدوين الأول أسرع للقاء مودود في معركة الصنبرة حتى يسد ثغرة طريق جنوبي بحيرة طبرية الذي يؤدي إلى قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية. والجدير بالذكر أن الصليبيين، منذ عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ وحتى وقت معركة الصنبرة، قد أهملوا منطقة جنوبي بحيرة طبرية. ولم يؤسس الصليبيون أي قلعة أو حصن في هذه المنطقة

حتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. ونتيجة لوجود هذه الثغرة بدون حماية كان بإمكان أي جيش إسلامي دخول مملكة بيت المقدس اللاتينية من خلالها، والتوغل في سهول وسط المملكة حتى ساحل البحر المتوسط[١١١].

كذلك كان الصليبيون يهدفون أيضاً إلى استغلال موقع الإقحوانة. وقد هرول بلدوين الأول لمحاولة الوصول إلى هذه المنطقة قبل المسلمين. ولكن المسلمين سبقوه إليه[١١٢]، وذلك نظراً للأهمية الاستراتيجية لموقع الإقحوانة والذي ذكرناه في الأسطر السابقة.

وهكذا وصلت القوات الإسلامية إلى شبه جزيرة الإقحوانة. ثم وصل بلدوين الأول بجيشه أمام جسر الصنبرة. وعندما وجد المسلمون عبروا إلى الإقحوانة، قرر ضرب خيام معسكره أمام جسر الصنبرة[١١٣]. وقبل الخوض في تفاصيل أحداث المعركة، تجدر الإشارة إلى أن أحداثها انقسمت إلى مرحلتين، استغرقتا حوالي ٧٠ يوماً. أما المرحلة الأولى فقد استمرت من ٢٩ يونيو عام ١١١٣م، الموافق ١٣ محرم عام ٥٠٧هـ، إلى منتصف يوليو عام ١١١٣م، الموافق أواخر محرم عام ٥٠٧هـ. وبدأت هذه المرحلة بوصول قوات المسلمين والصليبيين إلى منطقة الصنبرة، واستمرت حتى انسحاب الصليبيين إلى تلال طبرية الغربية[١١٤]. أما المرحلة الثانية فقد استغرقت من منتصف يوليو عام ١١١٣م، الموافق آواخر محرم عام ٥٠٧هـ، وحتى منتصف أغسطس عام ١١١٣م، الموافق آواخر صفر عام ٥٠٧هـ. واستغرقت نحو شهر من الزمن. وبدأت هذه المرحلة بانسحاب القوات الصليبية ناحية بلدة طبرية، ثم صعودها لأعالي تلال طبرية الغربية المرتفعة بشكل واضح. ثم حصار المسلمين لهم لمدة ٢٦ يوماً تقريباً. وانتهت تلك المرحلة برفع حصار المسلمين عن الصليبيين فوق مرتفعات طبرية، ثم عودة مودود وطغتكين إلى دمشق[١١٥]. وفيما سبق قدمت الدراسة للتحديد الزمني الدقيق للمعركة منذ بدايتها وحتى انتهائها.

بدأت المرحلة الأولى مباشرة بعد تمركز المعسكرين الإسلامي في الإقحوانة والصليبي في الجهة الغربية من جسر الصنبرة. فبادر المسلمون بتحريك ألفي فارس عبروا جسر الصنبرة. ثم اندفع من الألفين خمسمائة فارس واتجهوا نحو جيش الصليبيين بهدف استفزاز بلدوين الأول إلى أقصى حد لإجباره على التحرك والزحف بقواته نحو وادٍ ضيق، يحتمل أنه وادي الفجاس، حيث نصب المسلمون عدداً من الكمائن للقوات الصليبية. وعندما اقترب الخمسمائة مسلم من مدخل هذا الوادي تظاهروا بالإنسحاب إلى داخله وفوق المرتفعات القائمة على جانبيه. واستجاب بلدوين لهذه الحيلة وذلك الاستفزاز وتعقب هؤلاء المتظاهرون بالإنسحاب، دون أن يدري بالكمائن المنصوبة لقواته. وعندما اصبح الجيش الصليبي كله محشوراً داخل هذا الوادي الضيق انقضت عليه قوات المسلمين من مكامنهم، وعاد الخمسمائة المتظاهرين بالفرار وانضموا إلى بقية القوات الإسلامية، ثم التحم بقية جيش المسلمين معهم، وبات الجيش الصليبي كله تحت السيطرة[١١٦]. وأمام ذلك نهض بلدوين وأمسك بالراية محاولاً إنقاذ جيشه الهالك لا محالة[١١٧]. وفي هذه اللحظات تعرض بلدوين نفسه للأسر على يد أحد أفراد جيش مودود، لكنه نجا من يد آسره بعد أن "بذل له شيئاً"[١١٨]، وترك له سلاحه. ولم يكن الجندي المسلم يعرف بأنه الملك الصليبي[١١٩]، ولو أنه عرف أن الذي بيده بلدوين الأول نفسه، لما تركه يفلت أبداً. ثم تعرض بلدوين مرة أخرى لهجوم بعض المسلمين، إلى أنه استطاع الفرار بمساعدة سرعة فرسه. ثم تراجع الجيش الصليبي كله أمام المسلمين، فهرول غالبية المشاة نحو بحيرة طبرية ونهر الأردن، فغرق الكثير منهم في مياه البحيرة والنهر. أما من صعد منهم التلال، علي جانبي الوادي، فقد نالته سيوف الأتراك المسلمين[١٢٠].

في اليوم التالي لبدء المعركة وصلت القوات الصليبية الأخرى القادمة من أنطاكية وطرابلس. وعندما رأى روجر صاحب أنطاكية وبونز صاحب طرابلس تلك المذبحة المروعة بين أفراد جيش بلدوين، لاموه على تعجله وعدم انتظاره حتى قدوم

قوات أنطاكية وطرابلس[١٢١]. وتجمعت بقايا قوات بلدوين مع قوات أنطاكية وطرابلس وحاولوا الانتقام، غير أن مودود وطغتكين أكملا إجهازهما على القوات الصليبية المتجمعة. وأمام ضغط قوات الأتراك المسلمين تراجعت القوات الصليبية حتى بلدة طبرية الواقعة على الساحل الغربي لبحيرة طبرية. وعندها اعتلى الجيش الصليبي التلال المرتفعة الملاحمة لبلدة طبرية من الغرب والجنوب الغربي. وقد وفر لهم هذا الارتفاع قدر كبير من الأمن إلا أنهم عانوا بشدة من نقص المياه فوق هذه المرتفعات، إذ أن جيش الأتراك منع عنهم الوصول إلى المياه[١٢٢]. وبلجوء الصليبيين إلى اعتلاء تلال طبرية الغربية، بدأت المرحلة الثانية من معركة الصنبرة[١٢٣]. حيث بات المشهد كالتالي، الصليبيون فوق تلك المرتفعات، والأتراك المسلمون يحيطون بهم من جميع الجهات عند سفوح تلك المرتفعات[١٢٤].

أخذ المسلمون يرشقون الصليبيين فوق التلال بوابلاً من السهام والنشاب، وحاولوا قطع المؤن والأعلاف عنهم من كافة الجهات، حتى يجبرونهم على النزول من فوق هذه التلال، ولكن الصليبيون لم ينزلوا. وعندما حاولوا النزول، أمام قلة المياه والأقوات، كان جيش الأتراك المسلمين لهم بالمرصاد[١٢٥]. ولقد عبر الأستاذ هارولد فنك Harold Fink عن حالة الصليبيين المحَاصَرين فوق تلال طبرية بلفظ بليغ، عبر أصدق تعبير عن حالة هؤلاء المعتدين، وهو "marooned"[١٢٦]، ويعني "تقطعت بهم السبل" فوق تلال طبرية، في نقص من الماء والمؤن. وفي هذه الأثناء استدعى طغتكين العرب من الطائيين، والكلابيين والخفاجيين. فلبوا النداء سريعاً وحضروا بأعداد كبيرة لمساعدة جيش الأتراك المسلمين[١٢٧].

ظل حصار الصليبيين فوق تلال طبرية نحو٢٦ يوماً[١٢٨]. في هذه الأثناء كان أفراد جيش الأتراك المسلمين ينتظرون نزول الصليبيين من فوق التلال، ويتلهفون لقتالهم والاستيلاء على غنائمهم. في حين كان القادة المسلمون يمنعون هؤلاء الجنود، ويحذرونهم من التسرع ويعدونهم بقتال الصليبيين في فرصة مواتية ينالون فيها

منهم[١٢٩]. وظل المسلمون يراقبون الصليبيين فوق التلال، وقرر مودود وطغتكين إرسال قوات من الجيش لنهب الأراضي التي يسيطر عليها الصليبيون من عكا غرباً، وحتى القدس جنوباً، حتى أنه "لم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة"[١٣٠]. كما أن تحرك هذه القوات ربما كان بهدف تهدئة حماسة الجنود المسلمين الزائدة.

أشار ألبرت الأيكسي إلى أن أعداداً كبيرة من الفلاحين المسلمين الخاضعين لحكم الصليبيين داخل مملكة بيت المقدس، عندما شاهدوا جنود الأتراك المسلمين يزحفون غرباً وجنوباً في الحقول السهول، قرروا الانضمام ومساعدتهم وإرشادهم بمناطق وجود الصليبيين ودورهم وممتلكاتهم[١٣١]. كذلك علق وليم الصوري على سلوك الفلاحين المسلمين السالف الذكر واعتبره نوعاً من الخيانة العظمى[١٣٢]. والواقع أن وليم لم يقدر دافع الجهاد الذي حرك هؤلاء الفلاحين ودفعهم للقتال إلى جانب جيش الأتراك المسلمين. ذلك الدافع الذي حرك الجيوش من الموصل والجزيرة وأعالي العراق، أفلا يحرك من يعيش بين ظهراني الصليبيين يعاني من بربريتهم وغطرستهم.

كل ذلك يجري والصليبيون فوق التلال لا يستطيعون النزول والدفاع عن رعاياهم وضياعهم وقلاعهم[١٣٣]. وفي هذه الأثناء وصلت من حلب قوة من مائة فارس، أرسلها رضوان للإشتراك في القتال مع جيوش مودود وطغتكين. ولكن مودود استنكر هذا التصرف من رضوان لأنه كان قد وعد مودود بالمشاركة منذ بداية الحملة وبقوات أكثر عدداً من تلك التي أرسلها. ولهذا السبب قام مودود بقطع الخطبة لرضوان في مساجد الشام. ومن المحتمل بشكل كبير أن رضوان خشى من نفوذ مودود الزائد حول حلب، إذا ما أحرز النصر في قتاله مع الصليبيين. ولهذا آثر المماطلة في المشاركة الفعالة مع بقية جيوش المسلمين[١٣٤]. على أية حال، وفي أثناء المرحلة الثانية من المعركة، أرسل مودود إلى السلطان محمد بن ملكشاه في خراسان، يعلمه بالنصر، كما أرسل عدداً كبيراً من رؤوس الصليبيين وأسراهم.

وبينما كان الصليبيون محاصرون فوق مرتفعات طبرية، والمسلمون عند سفوح هذه المرتفعات، يمنعون الصليبيين من النزول، وجزء آخر من المسلمين يخربون حقول الصليبيين ومزروعاتهم، لاحت في تلك الأثناء أخبار تفيد بقدوم وفود من الحجاج الغربيين في أعداد كبيرة من أوربا، حوالي ١٦ ألف حاج، في كامل تسليحهم[١٣٥]. وهذا الأمر قد أقلق القادة في الجيش الإسلامي[١٣٦]. ومع البعد الزماني والمكاني لقوات مودود عن مواطنهم في العراق والجزيرة، وانقطاع المؤن عنهم. مع الوضع في الاعتبار معاناتهم في أجواء شهر أغسطس الحارة. أمام كل ذلك قرر مودود وطغتكين التراجع عن حصار الصليبيين والعودة إلى دمشق، وذلك في يوم ٢١ ربيع الأول عام ٥٠٧هـ، الموافق ١ سبتمبر عام ١١١٣م. وقبل أن يغادر مودود إلى دمشق قام بتسريح عدد كبير من قوات الجيش، بعد أن تعاهدوا جميعاً على العودة لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين في ربيع العام القادم. وفي الوقت ذاته نزل خصومهم الصليبيين من فوق التلال وتحركوا جنوباً بإتجاه القدس[١٣٧].

انتهت أحداث المعركة وكانت خسائرها كارثية على الجانب الصليبي. فقد سقط منهم في ميدان المعركة نحو (١٢٠٠) من المشاة وحوالي (٣٠) فارساً، ما بين قتيل وغريق في بحيرة طبرية ونهر الأردن[١٣٨]. وهذا رقم ضئيل إذا ما قيس بما ذكره ابن القلانسي الذي أشار إلى أن خسائرهم بلغت نحو (٢٠٠٠ رجل)[١٣٩]. وهو أيضاً لا يقاس بما ذكره المؤرخ الصليبي ألبرت الايكسى الذي ذكر أن خسائر الجانب الصليبي بلغت (١٥٠٠) من المشاة وحوالي (٣٠) فارساً[١٤٠]. وتشير بعض المصادر إلى أن معظم قتلى الصليبيين كانوا من وجهاء الصليبيين ومن أصحاب الرتب العليا في الجيش الصليبي[١٤١].

كما كانت هناك خسائر شخصية للملك بلدوين الأول نفسه. فقد ذكرت المصادر أنه فقد في المعركة خيمته وأدواته من أوعية وآنية فاخرة. كما تعرض هو نفسه للهلاك،

لولا وصول قوات أنطاكية وطرابلس. بل إنه وقع أسيراً في يد أحد الجنود المسلمين، ولكنه تمكن من الإفلات(١٤٢).

كذلك خسر الصليبيون كنيسة كانت لهم في طبرية. وأشار ابن القلانسي إلى أنها كانت كنيسة معروفة ولها مكانتها عند المسيحيين في ذلك الوقت(١٤٣). وربما كانت كنيسة بلدة طبرية ذاتها.

أما على الجانب الإسلامي، فلم تذكر المصادر الإسلامية ولا المصادر اللاتينية أية خسائر للمسلمين في المعركة. وعلى ما يبدو أن خسائر الجنود في الجيش الإسلامي كانت ضئيلة للغاية حتى أن المصادر أهملت ذكرها. وما خسره المسلمون فعلاً هو أنهم لم يكملوا انقضاضهم على الصليبيين. ولكنهم فضلوا التريث الذي أدى إلى الملل في أوساط الجنود، ثم إلى الإنسحاب. وبذلك أضاعوا الفرصة من أيديهم، تلك الفرصة التي لم تعوض ثانية إلا في معركة حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ.

وكان هناك عوامل عديدة وراء انتصار المسلمين في معركة الصنبرة، أهمها: تعاون الموصل ودمشق كجبهة متحدة في مقاومة الصليبيين. فهذه كانت أول مرة تتعاون فيها هاتين الإمارتين الكبيرتين في وجه العدو الصليبي. وكانت نتيجة هذا التعاون إيجابية وناجحة بشكل كبير. وهذه النتيجة الإيجابية أكدت على حقيقة بديهية وهي ضرورة التعاون والوحدة بين بقية المدن والإمارات الإسلامية في بلاد الشام للقضاء التام على الوجود الصليبي في ديار الإسلام.

كما لعبت العمليات النوعية التي قام بها مودود ضد الصليبيين في السنوات السابقة لمعركة الصنبرة دورها في انتصار المسلمين. فحملة عام ١١١١م/٥٠٥هـ، التي جهز فيها مودود قوات ضخمة لمهاجمة الصليبيين، والتي قدر لها ألا تكتمل لأسباب سياسية خاصة بأتابكيات العراق(١٤٤)، إلا أنها أثبتت وجود تحول جوهري ومهم على حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين. فقد بدأت هذه المقاومة مع هذه الحملة

تأخذ منحى الهجوم وليس الدفاع. وذلك على عكس العمليات الحربية السابقة بين المسلمين والصليبيين والتي كانت تأخذ شكل الدفاع من جانب المسلمين.

ومن عوامل انتصار جيش المسلمين أيضاً استعداد القبائل العربية للوقوف إلى جانب أي قائد مسلم، مثل شرف الدين مودود، متى أبدى نية صادقة وشجاعة نادرة في قتال الصليبيين. وكانت قبائل الطائيين والكلابيين والخفاجيين قد لبت نداء طغتكين عندما دعاهم للإنضمام معهم لقتال الصليبيين. والجدير بالذكر أن أفراد هذه القبائل، التي تعيش في داخل مملكة بيت المقدس الصليبية أو في المناطق الصحراوية على أطراف المملكة، كانوا بمثابة مرشدين لجيش مودود أثناء تحركاته داخل مملكة بيت المقدس الصليبية.

كان هناك أيضاً عاملاً مؤثراً في انتصار المسلمين في الصنبرة وهو تعاون الفلاحين المسلمين الخاضعين للحكم الصليبي داخل مملكة بيت المقدس الصليبية. كان هؤلاء الفلاحين، كأفراد القبائل العربية السالفي الذكر، يعملون كمرشدين وموجهين لجيوش المسلمين أثناء تحركات جيش المسلمين في سهول وحقول مملكة بيت المقدس الصليبية حتى عكا غرباً والقدس جنوباً. وقد اعتبر المؤرخ وليم الصوري أن ما فعله هؤلاء الفلاحين هو نوع من الخيانة والطعن في الظهر(١٤٥).

وكما كان هناك عوامل لإنتصار جيش المسلمين، كان هناك أسباب وراء إخفاق الصليبيين أدت إلى هزيمتهم في معركة الصنبرة. ومن أهم أسباب إخفاق الصليبيين تهور بلدوين الأول وتعجله بالهجوم على جيش المسلمين، رغم تفوقه العددي على جيشه، وعدم انتظاره لوصول التعزيزات العسكرية التي كانت في طريقها إليه من أنطاكية وطرابلس. فتفوق جيش المسلمين في العدة والعتاد والعدد لم يعط بلدوين الفرصة للتحرك. واستسلم للهزيمة. وتجدر الإشارة إلى أن كافة المصادر القديمة أقرت بأن تسرع بلدوين الأول وتعجله هو سبب خسارة جيش الصليبيين(١٤٦). من ناحية أخرى، كان لجهل الصليبيين بطبيعة المنطقة وجغرافيتها دوره في هزيمتهم في

الصنبرة. فالمسلمون بقيادة مودود وطغتكين على دراية بجغرافية منطقة جنوبي بحيرة طبرية، وأنها منطقة صالحة للقتال وبها بعض المناطق الصالحة لصنع الكمائن[١٤٧]. وعندما استطاعت تلك القوات استدراج الصليبيين إلى موقع الكمائن، استطاعوا تحقيق الانتصار على الصليبيين.

هناك سبب آخر مهم من أسباب إخفاق الصليبيين، هو سلاح الفرسان الصليبي. فقد أشار المؤرخ الغربي ميشيل بالار Michel Ballard، بصفة عامة، إلى أن قوة سلاح الفرسان السلجوقي يختلف عن سلاح الفرسان عند الصليبيين. فالأخيرين يتصفون بالثقل وكثر ة الأحمال عل أجسادهم وجيادهم. أما فرسان السلاجقة فيتميزون بخفة الحركة والسرعة، وهم محل إعجاب ورهبة عند الصليبيين[١٤٨]. ومما لا شك فيه أن فرسان المسلمين تفوقوا على سلاح الفرسان الصليبي في الصنبرة، مما أدى إلى الانتصار.

وكان لمعركة الصنبرة نتائج مهمة على الجانبين الإسلامي والصليبي على حد سواء. فبالنسبة للجانب الإسلامي، كانت أهم نتيجة لهذه المعركة هى مقتل شرف الدين مودود نفسه، قائد المعركة والعقل المدبر والمخطط لها. وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه الجيش الإسلامي، فإن فرحة هذا الانتصار قد زالت سريعاً بإغتيال قائد هذا الجيش. كان القاتل من طائفة الشيعة الباطنية، فبينما دخل مودود إلى مسجد دمشق،في الحادي والعشرين من ربيع الأول عام ٥٠٧هـ / الرابع من سبتمبر عام ١١١٣م، في صحبة طغتكين، لتأدية صلاة الجمعة، إذ بباطني يتظاهر بطلب الصدقة من الأمير. وعندما اقترب منه أكثر فأكثر، استل الباطني خنجراً من ملابسه، وطعن الأمير أربع طعنات أسفل سرته، كانت كافية للقضاء عليه قبل مغرب ذلك اليوم. وقد وجهت معظم المصادر الإسلامية واللاتينية الاتهام إلى ظهير الدين طغتكين في مقتل مودود[١٤٩]. وساءت سمعة طغتكين، ليس في نظر المسلمين فحسب، بل في نظر الصليبيين أيضاً. أما على الجانب الإسلامي، فقد وقع طغتكين تحت طائلة اتهام السلطان محمد بن ملكشاه نفسه، والذي وجه الاتهام له بقتل مودود[١٥٠]. الأمر الذي دفع السلطان إلى مواصلة

الجهاد ضد الصليبيين. فسارع بإرسال قائد آخر خلفاً لشرف الدين مودود هو آقسنقر البرسقي (١١١٣-١١٢٦م/٥٠٧-٥٢٠هـ)[١٥١]. وحتى الصليبيين نظروا إلى طغتكين على أنه خائن وقاتل لقائده مودود، وذلك على الرغم من أنهم تعرضوا لهزيمة منكرة في المعركة. وليس أدل على ذلك من رسالة الشماتة والتوبيخ التي بعث بها الملك الصليبي بلدوين الأول إلى طغتكين نفسه، قائلاً فيها: "إن أمة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها"[١٥٢]. وأياً كان الأمر، فإن مقتل مودود كان كارثة فعلية على هذه الصحوة المبكرة للمقاومة الإسلامية ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام. وبالنسبة للصليبيين، فإن مقتل مودود قد خلصهم من عدوٍ لدود[١٥٣]، وصل بجيوشه إلى قلب مملكتهم، ومن المحتمل بشكل كبير أنه كان ينوي، في السنوات التالية، إكمال مشروعه الضخم الذي يهدف إلى استئصال الوجود الصليبي كله من بلاد الشام.

وعلى الرغم من النتيجة السلبية السابقة لمعركة الصنبرة على المسلمين، كان لها نتائج إيجابية عليهم. فإنتصار الصنبرة أعد للمسلمين الثقة بالنفس، وأثبتت لهم أن هزيمة الصليبيين في قلب مملكتهم ليس أمراً مستحيلاً. كما أنهم تحولوا في هذه المعركة من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم في معاركهم التالية مع الصليبيين، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، بلورت هذه المعركة فكرة الإتحاد بين المسلمين وأعطتها بعداً سياسياً وعسكرياً[١٥٤].

أثبتت أحداث معركة الصنبرة للمسلمين أن إخوانهم الخاضعين للحكم الصليبي كانوا يعانون في ظل هذا الحكم. فعقب انتصار مودود في الصنبرة، أرسل المسلمون، القاطنون في داخل الأراضي الخاضعة للسيطرة الصليبية، رسلاً إلى مودود يلتمسون منه الأمان وتخليصهم من الحكم الصليبي[١٥٥]. الأمر الذي يدل على أن هؤلاء المسلمين كانوا يتحينون الفرصة للتخلص من السيطرة الصليبية. وفي سبيل ذلك الهدف يقومون بتقديم المساعدة متى لاحت بوادر أي جيش مسلم يرفع راية الحرب ضد الصليبيين.

أظهرت معركة الصنبرة عدم وفاء بعض أمراء المسلمين لحركة المقاومة ضد الصليبيين. ويأتي على رأس هؤلاء الامراء الأمير رضوان حاكم حلب. فلم يقدم رضوان المساعدة المرجوة التي بها مودود في معركة الصنبرة، واكتفي بإرسال مائة فارس قرب نهاية المعركة. فما كان من مودود إلا أنه استنكر هذا الفعل من رضوان وأبطل الدعوة له في بلاد الشام[١٥٦]. وأكد ذلك عدم إخلاص رضوان في مقاومة الوجود الصليبي.

إضافة إلى ما سبق، يمكن القول، يمكن القول أن أحداث معركة الصنبرة أثبتت بوضوح أن الكيان الصليبي مهدد من الداخل. ففي وقت هجوم جيش الأتراك المسلمين قام بعض المسلمين من أهالي الجليل، شمالي فلسطين، وهم تحت السيطرة الصليبية، بالوقوف إلى جانب بعض فرق الجيش الإسلامي الذين هاجموا مناطق السهول الصليبية، أثناء القتال في معركة الصنبرة[١٥٧]. وهذا بدوره إشارة إلى الكيان الصليبي في الشرق بأن الوحدة الإسلامية، وإن كانت متأخرة قليلاً، إلا أنها قادمة لا محالة. والحكيم من الصليبيين من أدرك هذا الخطر القادم، وتلك الموجة الكاسحة من المقاومين المسلمين.

كما أثبتت معركة الصنبرة أهمية توحيد صفوف المسلمين، وخاصة بين السلاجقة والعباسيين من جهة، والفاطميين في مصر وعسقلان من جهة أخرى. فأثناء حصار مودود للصليبيين فوق تلال طبرية الغربية، أطمانت حامية عسقلان الفاطمية إلى أن مملكة بيت المقدس الصليبية قد خلت من المدافعين عنها. فقاموا بنهب الأرياف والمزارع من عسقلان وحتى القدس. بل إنهم هاجموا القدس ذاتها، ولكن حاميتها كانت أقدر على الدفاع، فعادوا إلى عسقلان في نفس اليوم، خاصة بعد سماعهم أنباء عن انتهاء المعركة وعودة الملك بلدوين الأول[١٥٨]. وهذا يعني أن كل طرف من السلاجقة والفاطميين كان يعمل مستقلاً ضد الكيان الصليبي في الشام. وإذا ما حدث نوع من التفاهم والوحدة بين الجانبين، لربما استطاع الفاطميون أثناء معركة الصنبرة استرجاع

القدس ذاتها والقضاء على الوجود الصليبي في فترة مبكرة من وجوده بالشام. ولكن هذا لم يحدث، وما حدث كان مجرد تحرك مستقل من جانب السلاجقة والفاطميين. فكل منهما حاول تحقيق إنجاز مستقل لنفسه.

وعلى الجانب الصليبي، كان لمعركة الصنبرة نتائج اقتصادية وسياسية وعسكرية. أما النتائج الإقتصادية فقد نوه عنها فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres عندما ذكر أن حملة مودود عام ١١١٣م/٥٠٧هـ أصابت الكيان الصليبي كله بالفزع الشديد. فترك الفلاحون حقولهم دون حصاد، فذبلت المحاصيل في الحقول، وتوقف أفراد المملكة عن أشغالهم. وتعطلت الحياة في مملكة بيت المقدس اللاتينية. ولم يجرؤ أحد من حاميات الحصون والقلاع على الخروج من حصونهم وقلاعهم(١٥٩).

وقامت قوات الأتراك المسلمين أثناء القتال في الصنبرة بمهاجمة السهول والحقول الصليبية المحيطة ببحيرة طبيرية غرباً وجنوباً حتى القدس. كما قاموا بقتل كل من صادفهم من الصليبيين، وأخذوا مواشيهم ودوابهم. أما معظم الحصون والقلاع والمدن الحصينة فقد أغلقت بواباتها على رعاياها، ولم يصل إليها جنود الأتراك المسلمين(١٦٠).

أما النتائج السياسية للمعركة على الجانب الصليبي فتمثلت في استغلال الدولة الفاطمية لظروف الحرب التي يخوضها بلدوين الأول في الصنبرة، وحركت حامية عسقلان لنهب الحقول الصليبية حتى القدس(١٦١)، كما ذكرنا آنفاً. وبعد ذلك بعامين استغل الفاطميون فرصة ضعف الجيش الصليبي، بعد ضرب القوة القتالية الدفاعية للصليبيين في معركة الصنبرة، وعاودوا محاولة الاستيلاء على القدس ذاتها عام ١١١٥م/٥٠٩هـ. وقد عانى بلدوين الأول الكثير في صد هذه الغارة الفاطمية على المملكة من ناحية الجنوب(١٦٢).

أما النتائج العسكرية لمعركة الصنبرة على الجانب الصليبي فتمثلت في تنبيه الصليبيين إلى الممرات المؤدية إلى داخل مملكتهم والواقعة جنوبي بحيرة طبرية، فقاموا ببناء قلعة كوكب الهوا Bolvoir، ولكن بنائها جاء متأخراً عام ١١٦٨م/٥٦٣هـ. والجدير بالذكر أن هذه القلعة كانت ترتفع عن سطح البحر بحوالي ٥٠٠ متر تقريباً، وهى تطل على نهر الأردن. وكانت تتصل بالقلاع الصليبية الأخرى عن طريق استخدام الشارات النارية التى تضاء من أجل هذا الغرض. والواقع أن هذه القلعة كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للكيان الصليبي في حماية مداخل المملكة جنوبي بحيرة طبرية، وخاصة جسر الصنبرة، والمنطقة المحيطة ببحيرة طبرية من الجنوب، ومنطقة الجليل والجولان شمالي مملكة بيت المقدس(١٦٣).

وكان لمعركة الصنبرة دوي هائل بين المؤرخين المعاصرين من المسلمين واللاتين، وكل منهم أدلى بدلوه في تقييم أحداثها. وإن كانت لم تأخذ حقها كاملاً بين أوساط المؤرخين المحدثين الشرقيين والغربيين. فمؤرخو المصادر الإسلامية أجمعوا على أن الأتراك المسلمين انتصروا في هذه المعركة نصراً مؤذراً، وقتل وأسر الكثير من الصليبيين(١٦٤).

أما المؤرخون الصليبيون، فجاء على رأسهم فوشيه الشارتري الذي وضع فصلاً كاملاً من كتابه تحت عنوان "الفزع الشديد الذي ألم بالجميع"(١٦٥). فقد رأى فوشيه أن هذه المعركة كانت بمثابة كارثة مفزعة بالنسبة للكيان الصليبي. كما أنه شجب مودود وأبدى قدراً من السعادة عند سماعه بمقتل هذا القائد المسلم على يد رجل نكرة(١٦٦). والغريب في الأمر أن فوشيه وجه هذا الشجب لمودود بعد أن مدحه ووصفه بالشجاعة. وهذا أمر طبيعي أن يعجب المؤرخ بشخصية قائد ما، حتى إذا كان خصماً له، ولكن ميل المؤرخ لبني جنسه ودينه أشد، وهذا ما انطبق على فوشيه الشارتري هنا، وعلى كافة مؤرخى العصور الوسطى شرقاً وغرباً.

كما قدم وليم الصوري أيضاً رأيه في معركة الصنبرة. فقد نوه إلى الفزع الشديد الذي أصاب جميع أفراد مملكة بيت المقدس الصليبية بسبب هذه المعركة التي اعتبرها بمثابة كارثة عسكرية واقتصادية على المملكة. ولكن ما لفت نظر وليم وانتقده بشدة هو مساعدة المسلمين الخاضعين للحكم الصليبي لإخوانهم المقاتلين في جيش مودود، وكما ذكرنا آنفاً، اعتبر عملهم خيانة عظمى للصليبيين. وعبر وليم عن ذلك في حكمة بليغة جاءت في سياق حديثه عن المعركة، إذ قال: "ما من عدوٍ أسوأ من العدو المقيم بين ظهرانيك"(١٦٧).

وعلى مستوى المؤرخين الشرقيين المحدثين، يرى المؤرخ محمد مؤنس عوض أن المسلمين على الرغم من انتصارهم في الصنبرة، إلا أنهم لم يستثمروا هذا الانتصار. وظلوا يماطلون في حصارهم للصليبيين عند تلال طبرية حتى وصل إليهم دعم بشري كبير من الغرب الأوربي في صورة عدد كبير من الحجاج المسيحيين. الأمر الذي غير موازين المعركة لصالح الصليبيين، حيث نجوا من هلاك محقق بعد وصول ذلك الدعم العسكري الغربي إلى شواطئ عكا على البحر المتوسط(١٦٨). كما يرى هذا المؤرخ أيضاً أن معركة الصنبرة أثبتت، على نحو واضح، الضعف الذي كانت عليه القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة، وعدم إخلاص بعضها لقضية الجهاد ضد الغزاة الصليبيين. فلم يتحمل طغتكين، حاكم دمشق، أن يرى شرف الدين مودود في موضع انتصار ضد الصليبيين. فخشى على إمارته من تزايد نفوذ هذا القائد بعد انتصار الصنبرة، فسلط عليه قتلة البشر من الباطنية، فاغتالوه داخل مسجد دمشق، وهو صائم، عام ١١١٣م/٥٠٧هـ(١٦٩).

كما أشاد أحد المؤرخين بانتصار شرف الدين مودود في الصنبرة، وأن هذه المعركة كانت فاتحة خير وميدان نصر لإظهار مهارات قائد مسلم واعد ضد الصليبيين وهو عماد الدين زنكى. كما أشار نفس المؤرخ إلى أهم وأخطر نتائج المعركة والمتمثل في مقتل مودود نفسه على يد الباطنية، وبتحريض من طغتكين، وألمح إلى أن هذا

الأخير فضل التعايش بجوار جيرانه الصليبيين على التعايش بجوار قائد حربي تركي مسلم مثل شرف الدين مودود، الذي قد يهدد مركزه وحكمه في دمشق(١٧٠).

وأشار سالم محمد الحميدة أن تفكك حلف الأمراء المسلمين في حملة عام ١١١١م/٥٠٥هـ بقيادة مودود، إنما يدل على عدم تماسك الجبهة الإسلامية في ذلك الوقت. ثم جاءت معركة الصنبرة وأكدت حقيقة وجود هذا التفكك وذلك الانقسام في الجبهة الإسلامية(١٧١). فهل يعقل أن صانع الانتصار على الصليبيين في الصنبرة يقتل على يد أحد المسلمين؟ إن هذا يمثل ذروة التفكك الداخلى للجبهة الإسلامية.

كذلك قدم المؤرخ عماد الدين خليل رأيه في معركة الصنبرة، وأوضح أن هذه المعركة أثبتت عجز مملكة بيت المقدس الصليبية في الدفاع عن نفسها(١٧٢). كما أثبتت أن أهم عوامل النجاح في مقاومة الصليبيين هى وقف تدفق المساعدات من الغرب. وعلى ذلك عمل الصليبيون بقيادة بلدوين الأول على محاولة السيطرة على كافة مدن الساحل الشامي من السواحل المواجهة لأنطاكية شمالاً وحتى عسقلان جنوباً.

أما على مستوى المؤرخين الغربيين المحدثين، فقد ذكر المؤرخ الفرنسي رينيه جروسييه René Grousset أن حملة مودود، التي انتهت بمعركة الصنبرة، قد فشلت، وأن مودود نفسه قد علم بفشلها بعد طول حصار الصليبيين حول طبرية. ولذلك عمل على تسريح جنوده، وعاد هو إلى دمشق في صحبة طغتكين(١٧٣). والواقع أن هذه الحملة لم تفشل، وإنما نجحت نجاحاً كبيراً. والدليل على ذلك عدد القتلى في صفوف الصليبيين الذي بلغ نحو ألفي رجل، بالإضافة إلى نهب وتخريب حقولهم من طبرية حتى عكا غرباً وحتى القدس جنوباً، عملاً بسياسة تجويع الصليبيين وإضعافهم إقتصادياً. بل إن هذه الحملة كان بإمكانها القضاء على الصليبيين تماماً في وقت مبكر من وجودهم على أرض بلاد الشام، إذا ما توافر قدر واضح من التعاون من رضوان حاكم حلب ومن الفاطميين في مصر مع السلاجقة والخلفاء العباسيين في بغداد. ولكن هذا التعاون

كان أمراً بعيد المنال في ذلك الوقت. مما أعطي الصليبيين مناعة قوية أمدت في عمر هذا الكيان المحتل نحو قرنين من الزمان بعد معركة الصنبرة.

وقدم ستيفن رنسيمان أيضاً رأيه بوضوح في معركة الصنبرة. إذ رأى أن هزيمة الصليبيين كان ورائها بلدوين الأول نفسه. فعلى الرغم من أنه معروف بحرصه وحيطته الزائدة، إلا أنه هذه المرة قدم تسرعه على حيطته، ولم يتوخى جانب الحذر، وهاجم قوات مودود وطغتكين في رعونة وغطرسة، مما أدى إلى هزيمته المنكرة في المعركة(١٧٤).

كما أبدى المؤرخ هارولد سوينسون فنك Harold Swenson Fink رأيه في معركة الصنبرة. فقد شبه هذه المعركة بمعركة حطين التي كانت بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ. وأوضح هذا المؤرخ أوجه التشابه ونواحي الاختلاف بين المعركتين. أما أوجه التشابه فأولها أنه في كلا المعركتين دخل المسلمون من بوابة طبرية (جسر الصنبرة) الواقعة جنوبى بحيرة طبرية. وفي كلا المعركتين أيضاً هُزم جيش الصليبيين هزيمة كارثية، وتم حصار الصليبيين فوق تل خالٍ من الماء. كما بين فنك نواحي الاختلاف بين المعركتين وهم ثلاث نواح، أولها: أن قوات الملك بلدوين الأول دخلت المعركة ومعهم ما يلزمهم من مياه، في حين دخلت قوات الصليبيين معركة حطين وهم عطشى ولم يكن في حوزتهم قطرة ماء. وثانيهما، أن قوات الملك بلدوين تلقت تعزيزات عسكرية من الغرب، في حين لم تصل أية تعزيزات تنقذ الصليبيين في معركة حطين. وأخيراً، كان بلدوين الأول ذو مكانة ومحل تقدير من من زملائه، على الرغم من خطأه. في حين كان الملك الصليبي جاي لوزجنان Guy of Lusignan (١١٨٦-١١٩٠م/٥٨٢-٥٨٦هـ)(١٧٥) يفتقد لهذه الصفات(١٧٦).

وهذه المقارنة التي أجراها المؤرخ هارولد سوينسون فنك تعد تصريحاً ضمنياً بإمكانية تحطيم مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. فالصنبرة شبيهة حطين، وكما أن حطين قضت على هيبة المملكة الصليبية إلى الأبد، كان بإمكان الصنبرة فعل ذلك، إذا توافر شرط الوحدة بين المسلمين في مصر وبلاد الشام كما كان في عصر صلاح الدين.

أما المؤرخ كريستوفر تايرمان Christopher Tyerman فيرى أن مودود قد انتصر في معركة الصنبرة وسيطر على المناطق السهلية والريفية كلها حتى القدس جنوباً وعكا غرباً، إلا أن الحصون والقلاع قد استعصت عليه(١٧٧). أو بالأحرى قد أغلقت حاميات هذه القلاع والحصون بواباتها وتقوقعت وراء جدران تلك الحصون من هول الخوف والفزع من قوات الأتراك المسلمين.

وأبدى المؤرخ هانز إبرهارد ماير Hans Eberhard Mayer نوعاً من المديح لشخص شرف الدين مودود، ووصفه بالمقاتل الممتاز والمقتدر. وذكر أيضاً أن مقتله أحدث كثيراً من الإرتياح بين صفوف الصليبيين وأيضاً لدى طغتكين نفسه، الذي كان يخشى نفوذ مودود الزائد. واتفق رأي إتش ماير مع رأي جروسييه السابق من أن مودود آثر رفع الحصار عن الصليبيين فوق تلال طبرية والتراجع ناحية دمشق، وذلك عند سماعه بوصول تعزيزات عسكرية في صورة حجاج وصلوا إلى عكا من الغرب(١٧٨). والواقع أن المصادر الصليبية فقط هى التي ذكرت أن تراجع مودود ناحية دمشق ورفعه الحصار عن الصليبيين. أما المصادر الإسلامية فلم تذكر ذلك، واعتبرت أن تراجع مودود كان بسبب طول فترة ابتعاد الجنود عن ديارهم في الموصل والجزيرة وبقية نواحي العراق. والرأي الأقرب إلى الصواب أن كلا السببين، وصول الحجاج الغربيين وطول الفترة الزمية لجنود الجيش الإسلامي، كلاهما كانا وراء تراجع شرف الدين مودود إلى دمشق، بعد تسريحه لمعظم قوات الجيش، في النصف الثاني من عام ١١١٣م، الموافق النصف الأول من عام ٥٠٧هـ.

وأخيراً حكم المؤرخ سميل Smail بموضوعية على معركة الصنبرة، وأشار إلى أن شرف الدين مودود قد حقق أعظم انتصاراته على الفرنجة في هـذه المعركـة[١٧٩]. وهذا الحكم يدل على موضوعية هذا المؤرخ الغربي الفذ، ونظرته الثاقبة لعمق الأحداث وبواطنها.

وفي ختام هذه الدراسة خلصنا إلى عدد من النتائج المهمة، أولها: أن مراحـل المقاومة الإسلامية للوجود الصليبي في بلاد الشام، بداية مـن حملـة كربوغـا أميـر الموصل (١٠٩٥م-١١٠٢م/٤٨٨-٤٩٥هـ) علـى الصـليبيين فـي أنطاكيـة عـام ١٠٩٨م/٤٩١هـ، ومروراً بمقاومة جكرمش للصليبيين وانتصاره عليهم فـي معركـة حران عام ١١٠٤م/٤٩٨هـ، ووصولاً إلى معركة الصنبرة عـام ١١١٣م/٥٠٧هـ، نقول أثبتت هذه الأحداث جميعها أن انتصار المسلمين على الصليبيين لم يتحقق إلا في فترات وحدتهم. فعندما لاحت بوادر هذه الوحدة باستجابة السلطان محمد بن ملكشاه لنداء أهل حلب بزعامة القاضي "ابن الخشاب"، تحقق النصر على يد قائـده شـرف الـدين مودود.

أكدت أحداث معركة الصنبرة على ضرورة وجود أسـطول إسـلامي قـوي. فالمحاولات الإسلامية البرية لم تؤتي ثمارها بشكل كبير إلا بعد انضمام أسطول مصر إلى جبهة القتال ضد الصليبيين، بعد زوال الخلافة الفاطمية من مصر وضمها إلى بلاد الشام في إتحاد قوي على يد صلاح الدين عام ١١٧١م/٥٦٦هـ. وفي أحداث معركـة الصنبرة يمكن القول أن عدم وجود أسطول إسلامي في البحر المتوسط كان سبباً فـي عدم إكتمال النصر في هذه المعركة. فعندما وصلت إلى ميناء عكـا وفـود الحجـاج الضخمة من الغرب في ذلك التوقيت، كان لوصولهم دوره في تغيير مسار المعركة. فقد ارتفعت معنويات الصليبيين، وأدرك المسلمون أن هذا الدعم العسكري الضخم لا يمكن تجاهله. ولذلك آثروا التراجع والانسحاب إلى دمشق، ولكنه انسحاب المنتصـر الـذي ينوي إعادة الكرَّة من أجل تحقيق النصر. وهكذا فإن وجود أسطول إسلامي بحري في

البحر المتوسط من شأنه تدعيم القوات البرية في جيش الأتراك المسلمين، وكذلك منع وصول السفن الغربية المحملة بالتعزيزات العسكرية للصليبيين في مملكة بيت المقدس.

يلاحظ أن الدور العظيم الذي لعبه شرف الدين مودود في السنوات من عام ١١١٠م/٥٠٤هـ حتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ وكذلك علاقة طغتكين به وطلبه المساعد منه ضد بلدوين الأول، يلاحظ أن هذه الأحداث جعلت الكثير من المؤرخين يتناسون أهمية الدور الشعبي الذي قام به أهالي مدينة حلب قبل قيام مودود بحملاته ضد الصليبيين. فهذا القاضي الشيعي "ابن الخشاب" لم يخش أح في رد بطش الصليبيين، ولم يثنيه شئ عن الخروج إلى دار الخلافة العباسية يحث الناس في بغداد على الجهاد ضد الصليبيين. كما طلب من الخليفة إنقاذ مسلمي حلب ودمشق وبيت المقدس من ظلم الصليبيين. فآتت جهوده ثمارها، وتحرك الخليفة العباسي والسلطان محمد نفسه، وسيروا الجيوش بقيادة مودود وآقسنقر البرسقي لقتال الصليبيين. وهذا يبين أهمية الدور الشعبي، ليس في تحريك الشعوب فحسب، بل في إثارة القادة أيضاً.

من الأهمية بمكان إدراك أن أهم نتائج معركة الصنبرة على الجانب الإسلامي هى مقتل شرف الدين مودود، ولكن من السذاجة ترك عملية قتله، دون تحليل وتمحيص. وكما سبق القول، حامت كل الشكوك بين المؤرخين القدماء خول طغتكين حاكم دمشق، والبعض وجه الاتهام إلى رضوان حاكم حلب. وهناك من ذكر أن الباطنية هم من كادوا له وقتلوه حينما خشوا بأسه ونفوذه. ولم يشك أحد يوماً في الملك الصليبي بلدوين الأول. مع أن أكثر المستفيدين من قتل مودود هم الصليبيون أنفسهم. فهذا القائد هو أول من تجرأ بجيوشه على الصليبيين منذ تولي بلدوين الأول عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، ووصل بقواته إلى قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية. كما أن مودود هو الذي قتل في الصنبرة نحو ألفي رجل من وجهاء الصليبيين، وحاصرهم نحو ٢٦ يوماً، بالجوع والعطش، فوق تلال طبرية الغربية. وفي نفس المعركة وقع بلدون نفسه أسيراً في يد قوات مودود. كيف إذاً لا يوجه الشك والاتهام إلى بلدوين بقتل مودود.

فالملك بلدوين هو من مارس الاغتيال منذ وطأت قدمه أرض بلاد الشام. فهو الذي دبر لقتل ثوروس Thoros (١٠٩٥-١٠٩٨م/٤٨٨-٤٩١هـ) حاكم الرها الأرميني على يد الأرمن أنفسهم، وكان المستفيد من قتل ثوروس هو بلدوين نفسه الذي حكم الرها من بعده واستولى على خيراتها. كل ذلك يجعل أصابع الاتهام توجه إلى بلدوين الأول في قتل مودود.

أثبتت معركة الصنبرة، بما لا يدع مجالاً للشك، أن نقص العنصر البشري هو المشكلة الرئيسية التي واجهت الصليبيين في بلاد الشام. فحينما يدخلون في معركة كبيرة وحاسمة مع المسلمين يظهر هذا الجرح البالغ والعيب الواضح في جسد مملكة بيت المقس الصليبية، وهو نقص العنصر البشري. ذلك النقص في القوة العددية للصليبيين هو الذي أرَّق بلدوين الأول وخلفائه حتى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ.

كان من نتائج معركة الصنبرة وقوع بلدوين الأول نفسه أسيراً في قبضة أحد المسلمين أثناء المعركة. ثم أطلق هذا الجندي سراحه بعد أن أخذ سلاحه. ومسألة وقوع الملك أسيراً في يد المسلمين في هذا الوقت المبكر من حياة الصليبيين في الشرق، إنما يدل على أن الكيان الصليبي كان خاوياً من الداخل، وأنه كان بالإمكان استئصاله في وقت مبكر من عمره في بلاد الشام إذا ما توافر نوعاً من الوحدة الصادقة بين صفوف المسلمين، وخاصة أمرائهم.

وأخيراً، يمكننا أن القول أنه على الرغم من سمعة الملك بلدوين الأول التاريخية، وأنه هو الملك الصليبي والمؤسس الفعلى لمملكة بيت المقدس الصليبية، وهو الذي أجرى التوسعات الكبيرة في جسد المملكة ، وقام بحملات عديدة غرباً وشرقاً وجنوباً حتى حدود مصر، نقول على الرغم من كل ذلك، إلا أن بلدوين له هفوات قاتلة، وزلات مهلكة، كتلك الخطوة السيئة التي قام بها في معركة الصنبرة عندما لم ينتظر وصول بقية القوات الصليبية القادمة من أنطاكية وطرابلس. حتى أن ابن القلانسي نفسه

علق على تصرف بلدوين وذكر أن كلاً من روجر أمير أنطاكية وبونز أمير طرابلس، عنما وصلوا إلى أرض المعركة، ووجدوا هذا العدد الكبير من القتلى الصليبيين، لاموا ملكهم على تهوره وتعجله.

خريطة رقم (١)

المرحلة الأولى من معركة الصنبرة

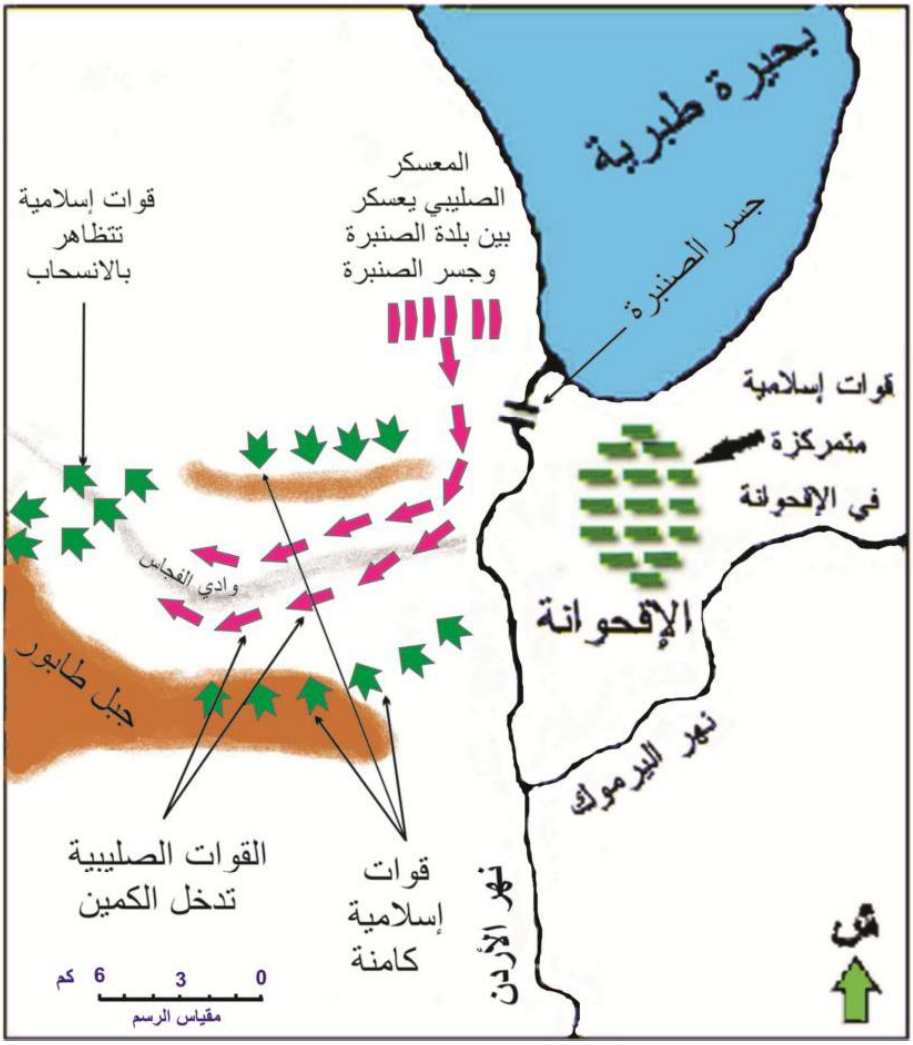

الخريطة من إعداد الباحث

خريطة رقم (٢)

المرحلة الثانية من معركة الصنبرة

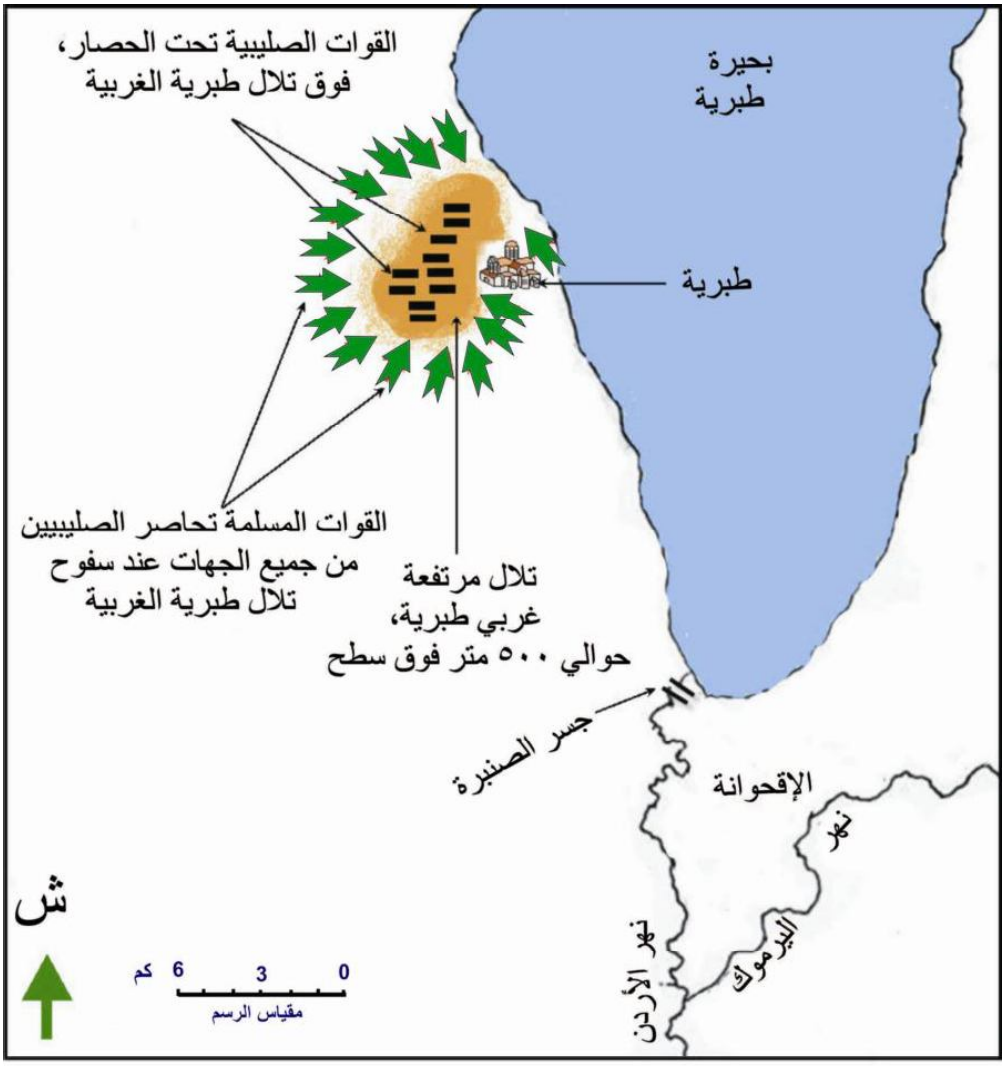

الخريطة من إعداد الباحث

وهذه الخرائط تم تصميمها بالاعتماد على مصادر الدراسة، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة مثل:

Skolnik (F.) and others, Encyclopaedia Judaica, Vol. 3, Detroit, 2007, p. 553; يوسف عبيد: قصة مدينة بيسان، ضمن سلسلة المدن الفلسطينية رقم (٧)، د.ت، ، ص ص٣١، ٣٢، ٤٣؛ مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جميع الأجزاء، كفر قرع ١٩٩١م؛ ميشيل بالار الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٥٧.

هوامش الدراسة

(١) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٩٤م.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، جزءان، القاهرة ٢٠١٠م.

(٣) عفاف سيد صبرة: "الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي"، الدارة، العدد (٢)، ١٤٠٧هـ، ص ص ١٠٩-١٣٨.

(٤) رشيد الجميلي: "الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢-٥٠٧هـ"، مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد، العدد (١٤)، م١، بغداد ١٩٧٠م، ص ص٤٦١-٤٧٦.

(٥) عصام سخنيني: طغتكين أتابك دمشق (١٠٩٥-١١٢٨م/٤٤٨-٥٢٢هـ)، القاهرة ١٩٩٩م.

(٦) فؤاد الدويكات: إقطاعية طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، عمان ٢٠٠٢م.

(٧) أسامة أحمد عبد الرحمن: إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، ٢٠٠١م.

(٨) عائشة بنت مرشود حميد: معركة الصنبرة، أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٢١)، أكتوبر ٢٠١٣م، ص ص ٢٠٩-٢٢٤.

(٩) ابن القلانسي هو حمزة المعروف بأبي يعلي. وهو ينتمي إلى أسرة دمشقية تعود جذوره إلى قبيلة تميم. تدرج ابن القلانسي في المناصب حتى صار رئيساً لديوان الإنشاء، ثم أصبح رئيساً لمدينة دمشق. ولابن القلانسي مؤلف واحد معروف هو "ذيل تاريخ دمشق". وقد عاصر ابن القلانسي أحداث الحملة الصليبية الأولى والثانية. وامتاز تاريخه بالقوة وإيراد التفاصيل. وتوفى عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ. أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، بيروت ١٩٩٦م، ص٣٨٨؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، جـ٢، بيروت ٢٠٠٢م، ص٢٧٦؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، القاهرة ٢٠١٥م، ص١٩٨.

(١٠) ابن العديم هو كمال الدين بن العيم الحلبي. يرجع أصله إلى قبيلة بني جرادة العربية العريقة. وقد برع ابن العديم في التاريخ، وأرخ لمدينة حلب في كتابه المعروف "زبدة

الحلب من تاريخ حلب". وله العديد من المؤلفات الأخرى مثل كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب"، وكتاب "الدراري في ذكر الذراري" وتوفى ابن العديم في عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ. أنظر: ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، بيروت ١٩٩٦م، (مقدمة الكتاب، ص٣)؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م، ص ص١٢٦-١٢٩؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت ١٩٧٩م، جـ٢، ص٢٦٣؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ص١٨٢.

(١١) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة ١٩٩٥م، ص ص١١١-١١٣.

(١٢) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص١١٧.

(١٣) ملكشاه هو ثالث سلاطين السلاجقة الكبار. حكم من عام ١٠٧٢م/٤٦٤هـ حتى عام ١٠٩٢م/٤٨٥هـ. وهو ابن السلطان ألب أرسلان. وقد ازدهرت السلطنة في عهده وتوسعت بشكل كبير. وعقب وفاته مباشرة انقسمت السلطنة بين أبنائه. كما أن الصليبيين طمعوا في أراضي بلاد الشام بعد زوال عهد هذا السلطان القوي بفترة قليلة. أنظر: الفتح البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، القاهرة ١٩٠٠م، ص ص٤٩-٦٠؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى : بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، القاهرة ب.ت، ص ص ٢٦-٥٣؛ عبد النعيم حسن: إيران في العصر السلجوقي، القاهرة ١٩٨٢م، ص ص٨٢-٨٦.

(١٤) بركياروق أكبر أبناء السلطان ملكشاه. وقد تولى السلطنة السلجوقية من عام ١٠٩٤م/٤٨٧هـ حتى عام ١١٠٥م/٤٩٨هـ. وكان عهده عهد نزاع وخصومات بين أبناء البيت السلجوقي، وخاصة مع أخيه محمد الشهير بغياث الدنيا والدين. ولم يتصاح بركياروق مع أخيه محمد إلا عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ. وبعد وفاة بركياروق عام ١١٠٥م/٤٩٨هـ أيلت أملاك بركياروق إلى أخيه محمد. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٧م، ص ص٢٦٨-٢٧٠؛ الفتح البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت ١٩٨٠م، ص٧٦؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥٥.

(١٥) محمد بن السلطان ملكشاه، اشتهر باسم غياث الدنيا والدين. وقد ولد عام ١٠٨٢م/٤٧٤هـ وتوفي عام ١١١٨م/٥١١هـ. تولى سلطنة السلاجقة عام ١١٠٥م/٤٩٨هـ بعد وفاة أخيه السلطان بركياروق وذلك بعد الدخول في عدة منازعات فيما بينهما حول العرش. وقد وجه السلطان محمد جزء كبير من جهوده في مقاومة الصليبيين في بلاد الشام. كما وضع نصب عينيه هدف الانتقام من طائفة الشيعة الباطنية. أنظر الفتح البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ٨١،٨٢؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، جـ٢، بيروت ١٩٨٥م، ص٣٦٥؛ عبد النعيم محمد حسين: إيران في العصر السلجوقي، ص ص١١٧-١٢٠ .

(١٦) الأتابك أو أتابك لقب تركي أطلقه السلاجقة على بعض كبار رجال البلاط. وهو يعني من يقوم بدور مربي الأمير. وكان السلطان السلجوقي ملكشاه هو أول من أطلق هذا اللقب على وزيره نظام الملك. وفيما بعد تعددت استخدامات هذا اللقب فصار يمنح من السلاطين لكبار رجال الدولة. وقد جعلت امتيازات الأتابك وراثية مثلما حدث في أتابكية الموصل. أنظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت ١٩٨٣م، هامش رقم (١)، ص٣٤٤؛ لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، بيروت د.ت، ص٢؛ عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، حاشية رقم (٦)، ص١٣٣.

(١٧) عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص١١١.

(١٨) كربوغا قائد عسكري تركي تولى حكم الموصل في شمال العراق بين عامي ١٠٩٥م/٤٨٨هـ و ١١٠٢م/٤٩٥هـ. وبعد وصول الصليبيين لبلاد الشام. عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ قاد كربوغا جيشاً ضخماً من الموصل حتى وصل إلى أنطاكية وحاصر الصليبيون بداخلها، ولكنه فشل في هذا الحصار، وفر جنوده من أمام أسوار أنطاكية. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, History of the Journey to Jerusalem, ed. and trans. Susan B. Edgington, Oxford Medieval Texts, 2007, pp.248-251, 254-259.؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميد روز، بيروت ١٩٠٨م، ص ص١٢٦، ١٢٧م؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص١٢٠، ١٢١م.

(١٩) ابن الأثير: الباهر، ص ص١٨، ١٩؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص٢٥٧؛ عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص ص١١٠، ١١١؛ رشيد الجميلي: الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية (٥٠٢-٥٠٧هـ)، ص ص٤٦١-٤٦٤.

(٢٠) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص١١٦.

(٢١) بلدوين البويوني فارس صليبي شارك في الحملة الصليبية الأولى، وتولى حكم كونتية الرها من عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ حتى عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ. صم صار ملكاً على مملكة بيت المقدس من عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ حتى عام ١١١٨م/٥١٢هـ. وقد قام بدور بارز في تثبيت أركان مملكة بيت المقدس بعدد من الاصلاحات الداخية والتوسعات الخارجية. كما وطد أركان الحكم في إمارتي أنطاكية والرها الصليبيتين. أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، جـ١، القاهرة ١٩٩٢م، ص ص٣٥٥-٣٦١؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٤-٥١٢هـ)، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص٣٥-٤٠.

(٢٢) بلدوين البورجي هو ابن هيو كونت ريتيل Hugh Rathel وميليسندا من مونتري Melisende of Monthery. ويلقب ببلدوين البورجي. في عام ١٠٩٦م التحق بالحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م). وفي عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ أصبح حاكماً للرها. ثم تولى حكم مملكة بيت المقدس في الفترة من عام ١١١٨م/٥١٢هـ حتى عام ١١٣١م/٥٢٥هـ. وقام بعدة حملات ضد المسلمين بهدف تدعيم أركان المملكة . وتوفى بلدوين عام ١١٣١م/٥٢٥هـ. أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٣٩، ٢٤٠؛ محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى في أيدى الحكام المسلمين ٤٩٣-٥٣١هـ/١١٠٠-١١٣٧م، بيروت ١٩٨٦م، ص٥٤؛ وللمزيد عن بلدوين البورجي، أنظر صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، القاهرة ٢٠٠٨م.

(٢٣) رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص ص١٣٩-١٦٠؛ علية الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ص٩٧-١٢١.

(٢٤) بوهيموند قائد نورماني من قادة الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ. ثم صار أميراً لأنطاكية من عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ إلى عام ١١١١م/٥٠٤هـ. وقد وقع

بوهيموند أسيراً في يد قوات السلاجقة الدانشمند في شمال شرق آسيا الصغرى من عام ١١٠١م/٤٩٤هـ حتى عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ. وفي عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ عاد إلى أوربا ودخل في حروب مع الدولة البيزنطية انتهت بهزيمته عام ١١٠٨م/٥٠١هـ. وتوفى بوهيموند في عام ١١١١م/٥٠٤هـ. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp. 82-85, 92,93; آنا كومنينا:ألكسياد، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠١٠م، ص ص٥٢٣-٥٢٦؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٧٤.

(٢٥) تانكرد قائد نورماني في الحملة الصليبية الأولى. ولد حوالي عام ١٠٧٦م/٤٦٨هـ وتوفى حوالي عام ١١١٢م/٥٠٦هـ. وهو أحد أفراد أسرة هوتفيل Houteville النورمانية في جنوبي إيطاليا. وعقب أسر بوهيموند في أيدي الدانشمندعام ١١٠١م/٤٩٤هـ أصبح تانكرد وصياً على أنطاكية. وكان له نشاط حربي كبير في توسيع رقعة أنطاكية حتى وفاته. أنظر: Ralph of Caen, The Gesta Tancredi of Ralph of Caen: A History of the Normans on the First Crusade, trans. Bernard S. Bachrach and David S. Bachrach, Aldershot, 2005, pp. 21,22; وللمزيد عن تانكرد، أنظر: Nicholson (R. L.), Tancred: a study of his career and work, AMS Press, 1978.; Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, California, 2006, pp. 1144,5.

(٢٦) رضوان حاكم حلب هو الابن الأكبر للسلطان السلجوقي تتش. ولد عام ١٠٨١م/٤٧٣هـ. وحكم حلب من سنة ١٠٩٥م/٤٨٨هـ حتى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. وقد دخل في صراع مع أخيه دقاق حاكم دمشق حتى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ. ولم يكن رضوان مع الحكام المسلمين في جهادهم ضد الصليبيين، وإن تظاهر بإبداء غير ذلك. وقد توفى رضوان عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٣٠-١٣٥؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ص٢٢٩-٢٥٦؛ كليفورد بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة حسين اللبودي، القاهرة ١٩٩٥م، ص١٧٤.

(٢٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص٢٥٠؛ أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، بيروت ١٩٩٨م، ص١١٥.

(٢٨) ابن الخشاب هو قاضي حلب الشيعي في الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري. ولا يعرف عنه شيء سوى موقفه في قيادة الوفد الشعبي الحلبي إلى بغداد لمعاتبة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وحثهم على وقف اعتداءات الصليبيين وتعديهم على المسلمين في حلب وبقية مناطق بلاد الشام. وقد كان لبعثة ابن الخشاب نتائج واضحة إذ تعاطف معه الناس في العراق. كما استجاب السلطان السلجوقي محمد لنداءات أهل حلب، وقرر تسيير الجيوش لقتال الصليبيين بقيادة أتابك الموصل شرف الدين مودود. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص١١٥؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٦٦.

(٢٩) برتراند التولوزي هو الابن الأكبر لريموند الصنجيلي Raymond of Saint-Gilles (١٠٤١-١١٠٥م/٤٣٢-٤٩٨هـ) كونت تولوز. وبعد سقوط طرابلس في أيدي الصليبيين عام ١١٠٩م/٥٠٣هـ طالب برتراند بأملاك أبيه. ودخل في نزاع مع وليم جوردان William Jordan حاكم طرابلس قبل برتراند، وانتهى النزاع بتولي برتراند إمارة طرابلس. وقد توفى برتراند عام ١١١٢م/٥٠٦هـ أنظر: فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة زياد العسلي، عمان ١٩٩٠م، ص ص٢٧٩، ٢٨٠؛ عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الأسكندرية ٢٠٠١م، ص ص١٤٦-١٤٨؛ .

(٣٠) بونز ابن برتراند كونت طرابلس السابق. وقد حكم بونز إمارة طرابلس الصليبية سنة ١١١٢م/٥٠٥هـ حتى سنة ١١٢٧م/٥٢١هـ. وعلى عكس سابقيه اتخذ بونز سياسة مسالمة مع إمارة أنطاكية الصليبية. وتقرب من صليبيي أنطاكية بزواجه من أرملة تانكرد بعد وفاته عام ١١١٢م/٥٠٥هـ. وقد حاول بونز مد حدود إمارته شرقاً عام ١١٢٦م/٥٢٠هـ. وتعاون بونز مع مملكة بيت المقدس في أوقات الأزمات والمعارك الحاسمة مع المسلمين. وتوفي بونز عام ١١٢٧م/٥٢١هـ. أنظر: Albert of Aachen, Historia

Ierosolimitana, pp. 854,5; Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, p.975; السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص ص١٤٩-١٥٢.

(٣١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٧٨-٢٨٢؛ رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص ص٩٧-١٠٠؛ إتش . إ. ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٩٩م، ص١١٠؛ السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص ص١٥٠-١٥٢.

(٣٢) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٣٧-١٦٣؛ ر .س .سميل: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)، ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد، دمشق ١٩٨٢م، هامش رقم (١)، ص٥٩؛ هيفاء عاصم محمد: الفاطميون والغزو الصليبي، مجلة كلية التربية الاساسية-جامعة بابل، العدد (١٤)، ٢٠١٣م، ص ص١٢٦-١٤٦.

(٣٣) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٤٤-١٤٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٧٨-٢٨٩؛ هانز ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، دمشق ٢٠٠٩م، ص ص١٤٥، ١٤٦.

(٣٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص٢٨٩، ٢٩٠؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣م، ص ص١٧-١٩؛ عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، بيروت ٢٠٠٥م، ص ص١١٥-١٢٠.

(٣٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص٢٧٥، ٢٧٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد الدقاق، جـ٩، بيروت ٢٠٠٣م، ص ص١٤٠، ١٤١؛ كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص ص١١١-١١٣؛ أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ص١١٥، ١١٦.

(٣٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٤٩؛ رشيد الجميلي: الأمير مودود صاحب الموصل، ص٤٧٢، ماير: تاريخ الحملات الصليبية، جـ١، ص١٠٨.

(٣٧) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص١٤١-١٤٦.

(٣٨) Grousset (R.), L'epopée des Croisades, Paris, 1995, p.74.

(٣٩) مايز: تاريخ الحملات الصليبية، ص١٠٩.

(٤٠) عن هذه الحملات التى قام بها مودود قبل معركة الصنبرة، أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص٢٨٩، ٢٩٠؛ ابن الأثير: الباهر، ص ص١٧-١٩؛ محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٠١.

(٤١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٥، ١٨٦؛ عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، ص ص١٢٠-١٢٣. أما بحيرة طبرية فتسمى بأسماء عربية عديدة منها "بحر الجليل"، و"بحيرة جينيسارت" و"بحر كنيرت". وهي عبارة عن خزان طبيعي للمياه العزبة في فلسطين. ويبلغ محيطها نحو ٥٣ كيلومتر، وأعمق نقطة فيها حوالي ٤٥ متراً، أما طولها فيبلغ نحو ٢٣ كيلومتر، بينما عرضها يبلغ نحو ١٤ كيلومتر. ولهذه البحيرة ذكريات كبيرة لدى أصحاب الديانات الثلاث: المسلمون، والمسيحيون واليهود. وفيها حمامات دافئة من وحي الطبيعة تستعمل مياهها للاستحمام الدافئ والشفاء. كما كان لهذه البحيرة أدوار مهمة طوال عصر الحروب الصليبية. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، بيروت ١٩٧٧م، ص ص١٧، ١٨؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، كفر قرع ١٩٩١م، ص ص٦٩-٧٣.

(٤٢) القديس بطرس هو أحد تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر، وهو من قرية بيت صيدا قرب بحيرة طبرية، شمالي الجليل. وهو يعد أول بابوات الكنيسة الكاثوليكية، كما أسس كنيسة أنطاكية العريقة. وقد عمل بطرس بالوعظ والتبشير للمسيحية في أقاليم متعددة مختلفة. والجدير بالذكر أن القديس بطرس سافر إلى روما وأسس كنيسة القديس بطرس مهد البابوية في الغرب. وقد توفى القديس بطرس في روما في تاريخ غير معروف. أنظر: The Catholic Encyclopedia, Vol.XI, ed. By, Herbermann (Ch.) and Others, New York, 1911, pp. 744,752. وللمزيد عن القديس بطرس، أنظر: Hengel (M.), Saint Peter, The Underestimated Apastle, trans. By Thomas. H. trapp, Eerdmans, 2010.

(٤٣) اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٧٢؛ شارل جنيبير: المسيحية، نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، القاهرة ١٩٨٥م، ص١٦٧.

(٤٤) في معركة حران تحالف شمس الدولة جكرمش (١١٠٠-١١٠٦م/٤٩٥-٥٠٠هـ) حاكم الموصل، مع سقمان بن أرتق أمير أراتقة ديار بكر بهدف التصدي للصليبيين. وكان الصليبيون بقيادة بلدوين البورجي أمير الرها وجوسلين حاكم تل باشر، وبوهيموند أمير أنطاكية. ومكان هذه المعركة هو منطقة حران أو البليخ. وقد حقق فيها المسلمون انتصاراً كبيراً. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp. 689-693; وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٤٧-٢٥٠؛ محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص١٥١-١٥٣.

(٤٥) جوسلين كورتيناي Joscelin of Courteney ابن عم بلدوين البورجي. وكان تابعاً له في كثير من تحركاته. تولى حكم تل باشر، ثم تولى حكم الرها من عام ١١١٩م/٥١٢هـ حتى عام ١١٣١م/٥٢٥هـ. ووقع جوسلين أسيراً في أيدي المسلمين مرتين، أولاهما عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ والأخرى عام ١١٢٢م/٥١٥هـ. وقد وصفه المؤرخون الصليبيون بالتعقل والحكمة. أما المؤرخون المسلمون فقد كان في نظرهم خصماً لدوداً للمسلمين. وكانت وفاة جوسلين عام ١١٣١م/٥٢٥هـ. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp. 692, 693, 752, 753, 812, 815; وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٣٦٨، ٣٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ص١٢٦، ١٢٩-١٣٠؛ علية الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، ص ص١١٦-١٢٠.

(٤٦) أنظر الخريطة رقم (١) آخر البحث.

(٤٧) شارل جنيبير: المسيحية، نِشأتها وتطورها، ص١٦٧؛ ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٤٨.

(٤٨) رفنية مدينة تابعة لحمص. وقعت تحت السيطرة الصليبية عام ١١١٥م/٥٠٩هـ. وقد كانت تابعة لحكم طغتكين حاكم دمشق إلى أن وقعت في أيدي الصليبيين. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٥٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٦٠.

(٤٩) العرب الطائيين من قبائل طئ التي تنتمي إلى العرب القحطانيين. وتعود منازل طئ الأصلية إلى بلاد اليمن. ومع الفتوحات العربية تفرقوا في العراق وسهول الشام

وجنوب فلسطين حتى هبطوا إلى مصر. أنظر: ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٨٢م، ص ص٨٤، ١٦٩، ٣٩٧-٣٩٩؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ٢، بيروت ١٩٩٧م، ص ص٦٨٩، ٦٩٠.

(٥٠) العرب الكلابيين، وهؤلاء قد اختلف في أمرهم، فلم يعرف هل قصد بهم ابن القلانسي العرب من قبائل "كلب"، أم العرب من قبائل "كلاب". ولكن قبائل كلب تقع ديارهم في جنوب الشام، أما قبيلة كلاب فتقع ديارهم في شمال الشام. والراجح أنهم ليسوا من قبائل كلاب ولا من قبائل كلب، وإنما من قبائل "الكلابات"، وهي عشائر صغيرة تسكن في منطقة "كفر حارب" ومنطقة "فيق" في جنوب وجنوبي بحيرة طبرية. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، حاشية رقم (١)، ص٢٩٦؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ٣، ص٩٩٠.

(٥١) العرب الخفاجيين هم بطن من بطون بني عقيل بن كعب. وهم من العرب العدنانيين. وقد كانوا قبل الإسلام يقطنون في جنوب شرق يثرب (المدينة المنورة). ثم انتشروا بعد الفتح الإسلامي في الجزيرة الفراتية والشام. وقد دخلوا في عداء مع سلاطين السلاجقة، وانتهى بهزيمتهم. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٤٠٠؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ١، ص ص٣٥٠، ٣٥١.

(٥٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ص٢٥٧.

(٥٣) لم تذكر المصادر أي شئ عن تميرك سوى أنه أمير سنجار عام ١١٠٨م/٥٠٢هـ. ولم يعرف على وجه التحديد نسبه ولا كيفية توليه سنجار حتى عام ١١٢١م/٥١٥هـ، حيث حل محله نائب آقسنقر البرسقي على سنجار. أنظر: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، جـ٣، تحقيق يحيي زكريا عبادة، دمشق ١٩٩١م، ص١٦٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٠. وسنجار مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة العراقية. وهى تبعد عن الموصل ثلاثة أيام. وتقع بجوار جبل مرتفع، كما يمر بها نهر، وتحيط بها البساتين. وقد ساهمت سنجار بشكل كبير في مشروع المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي وذلك بالتعاون مع جرتها الموصل. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٣، ص ص٢٦٢، ٢٦٣.

(٥٤) إياز بن إيلغازي لم تذكر عنه المصادر شيئاً سوى أنه ابن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين. وكان إيلغازي هذا من أمراء تتش حاكم الشام السلجوقي. واستولى على حلب بعد موت أبناء تتش. ثم استولى على ميافارقين. وكان إياز فارساً شجاعاً كثير الغزو حتى وفاته عام ١١٢٢م/٥١٦هـ. أنظر: ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، جـ٦، دمشق ١٩٨٩م، ص٧٩؛ ابن الأثير: الباهر، حاشية رقم (٢)، ص ١٨. وماردين قلعة حصينة ومشهورة. وهى على قمة جبل الجزيرة، وتشرف على نصيبين. وهى كثيرة الخيرات ومن حولها الحوانيت. وقد فتحها المسلمون سنة ٢٠هـ/٦٤١م أيام عمر بن الخطاب. وكان لماردين دورها في مقاومة الصليبيين فيى بلاد الشام. وخاصة الرها. نظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٥، ص٣٩.

(٥٥) طغتكين هو ظهير الدين طغتكين أتابك دقاق بن تتش بن ملكشاه، حاكم دمشق (١٠٩٣-١١٠٤م/٤٨٦-٤٩٧هـ). وقد كان طغتكين يحكم دمشق حكماً ذاتياً، ويدين اسمياً بالولاء للخليفة العباسى وللسلطان السلجوقي في العراق. وبعد وفاة الأتابك دقاق عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ استقل طغتكين بحكم دمشق. ودخل في نزاعات مع جيرانه الصليبيين واستنجد بشرف الدين أتابك الموصل. وتوفى طغتكين عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، م٢، ص ص٥٢٣-٥٢٥؛ شاكر مصطفى: الأسرة البورية، مجلة كلية الآداب -جامعة الكويت، العدد (١)، ١٩٧٢م، ص ص٣٥-٩٥. وللمزيد عن طغتكين أنظر: عصام سخنيني: طغتكين أتابك دمشق (١٠٩٥-١١٢٨م/٤٤٨-٥٢٢هـ)، القاهرة ١٩٩٩م.

(٥٦) روجر من سالرنو حاكم أنطاكية من عام ١١١٣م/٥٠٧هـ حتى عام ١١١٩م/٥١٣هـ. وو ابن أخت تانكرد أمير أنطاكية السابق. ووالد روجر يدعى ريتشارد Richard. وغير معروف ما إذا كان روجر قد خلف تانكرد في حكم أنطاكية بحق شرعي أم كوصي على بوهيموند الثاني Bohemond II الصغير. تحالف مع طغتكين حاكم دمشق. وفي عام ١١١٥م/٥٠٩هـ هاجم معسكر برسق بن برسق، ومن قبل في عام ١١١٣م/٥٠٧هـ اشترك روجر مع بلدوين الأول، ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية، في قتاله ضد شرف الدين مودود أتابك الموصل في معركة الصنبرة عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. وقد دخل في قتال مع إيلغازي حاكم ماردين عام ١١١٩م/٥٠١٣هـ وقتل في هذا القتال.

أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٣٥١، ٣٥٢؛ Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, pp.1045,6.

(٥٧) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٥١-١٥٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٩٩-٣٠١؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٦، ١٨٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (٥٢١-٦٣٠هـ)، بيروت ٢٠١٠م، ص ص٧٦، ٧٧.

(٥٨) Grousset (R.), Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem, Vol. 1, Paris 1943, p.484; محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين، ص٧٧.

(٥٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٣.

(٦٠) ذكر المؤرخ العسكري سالم محمد الحميدة أن قوات الجانب الإسلامي تكونت من أعداد كبيرة. فقوات الموصل بلغت (١٠٠٠٠ مقاتل)، وبلغت قوات سنجار وماردين ودمشق نحو (٥٠٠٠ مقاتل). أنظر: محمد سالم الحميدة: الحروب الصليبية: عهد الجهاد المبكر، جـ٢، بغداد ١٩٩٠م، ص٦٦. ولكن مصدر هذه المعلومات غير واضح على وجه التحديد، ولذا جاءت هذه الأرقام في هامش الدراسة.

(٦١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(٦٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(٦٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٠٠؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١.

(64) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.694-696; Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States, 1099-1118", in Setton (K. M.), A History of the Crusades, 6Vols, University of Wisconsin Press, 1969, p.402.

(65) Albert of Aachen, Historia, pp.841,842; Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 75.

(66) Grousset (R.), L'epopée des Croisades, Vol. 1, p.484; سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ١، ص٣٧٤.

(٦٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(٦٨) الصنبرة، نطقها بالتشكيل هو "الصِنَّبْرَة"، وهى بلدة تقع جنوبي بحيرة طبرية، بالقرب من مصب نهر الأردن. وحديثاً تقع في موضع "خربة الكرك" داخل إسرائيل. وفي عهد الأمويين اختارها الخلفاء ليقيموا فيها، ربما بغرض الاستجمام. وتبعد

الصنبرة عن بحيرة طبرية نحو ٤.٨ كيلومتر. ويقابلها من ناحية الأردن "عقبة أفيق". أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلـدان، م٣، ص٤٢٥؛ Gil (M.), A History of Palestine 634-1099, Cambridge University Press, 1992, p.78.

(٦٩) مرج سلمية بلدة تقع ضمن أعمال حماة، والمسافة بينهما مسيرة يومين. وهى تقع على وجه التحديد بين حماة ورفنية. ونطقها الصحيح "سَلَمِيَةَ". أنظر: .

(٧٠) الإقحوانة موضع بالأردن على شاطئ بحيرة طبرية. وموضعها بالتحديد على نهر الأردن، جنوبي بحيرة طبرية. يحدها من الجنوب والشرق نهر اليرموك، ومن الغرب نهر الاردن. ومن الشمال بحيرة طبرية. وعلى هذا فهى شبه جزيرة يصنعها نهر الأردن مع نهر اليرموك وبحيرة طبرية. وحديثاً تقع الإقحوانة ضمن محافظة إربد الأردنية. ومعظم المصادر العربية اطلقت عليها اسم "الإقحوانة"، أما ابن القلانسي فذكرها باسم "القحوانة". وربما سميت بالإقحوانة لكثرة نبات الإقحوان الزهري بها، خاصة وأن هذا النبات يكثر في مناطق حوض البحر المتوسط. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٢٣٤؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ أحمد المرعشلي وآخرون: الموسوعة الفلسطينية، جـ١، دمشق ١٩٨٤م، ص ص٢٧٥، ٢٧٦؛ لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، ص ص١٣-١٥.

(٧١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤. يلاحظ أن ابن القلانسي ذكر مناطق مر بها جيش المسلمين في طريقه إلى جنوب بحيرة طبرية مثل "قدس"، و"عين الجر" و "وادي التيم". ومواضع هذه المناطق غير واضحة في العصر الحالي، على الرغم من أن الدكتور سهيل زكار قد أشار إلى مواضعها في تحقيقه لكتاب ابن القلانسي، وهى نسخة أخري من كتاب ابن القلانسي غير النسخة التي اعتمدنا عليها والتى حققها أميدروز والتي صدرت في بيروت عام ١٩٠٨م. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٣٦٠ – ٥٥٥هـ، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٨٣م، ص٢٩٤. وتوضيح هذه المواضع جاء مختصراً ولا يكفي لتوضيح تلك المواقع بشكل دقيق ولا ما يقابلها، أو حل محلها، من المواضع في العصر الحالي.

(٧٢) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠. وبانياس بلدة صغيرة من أعمال دمشق. وهى ذات أشجار وأنهار. وهى بجوار

جبل الثلج، كما يحدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشمال اللاذقية، ومن الشرق جبال الساحل، أما من الجنوب فتلتحم بها السهول الخصبة. أنظر: ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت ٢٠٠٦م، ص١٩٣؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص٦٣، ٦٤.

(٧٣) طبرية بلدة صغيرة مطلة على بحيرة طبرية. وتع على طرف جبل. وتبعد عن دمشق مسيرة ٣ أيام، وثله بينها وبين القدس. أما عكا فتبعد عنها مسيرة يومان. وبطبرية حمامات وعيون ساخنة تعد من عجائب الدنيا. وهذه المياه يمكن أن تشفي من بعض الأمراض. وقد فتح المسلمون طبرية عام ٦٣٤م،١٣هـ على يد الصحابي شرحبيل بن حسنة. ولطبرية قدسية خاصة عند المسيحيين. ولعبت هذه البلدة أدواراً مهمة في تاريخ الحروب الصليبية بحكم قدسيتها الدينية وموقعها المتميز. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص ص١٧-٢٠؛ ابن الأثير: الباهر، حاشية رقم (٥)، ص١٨؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص١٧٧-١٨٥.

(٧٤) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(٧٥) جسر الصنبرة هو جسر ضخم كان قائماً جنوب غرب بحيرة طبرية على نهر الأردن وقبل إلتقاء هذا النهر ببحيرة طبرية مباشرةً. وقد وصف المقدسي وياقوت الحموي هذا الجسر بأنه جسر عظيم، ويؤكد مدى ضخامة هذا الجسر أمرين، أولهما: ما رجحه المؤرخ مصطفى مراد الدباغ من أن أنقاض جسر الصنبرة هو تلك البقايا الضخمة الموجودة عند مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية. وهذه البقايا عبارة عن أربعة أقواس ضخمة من المباني المهدمة والتي لا تزال باقية إلى اليوم. وثانيهما: أن عرض نهر الأردن قبل إلتقائه ببحيرة طبرية حوالي ١٨ متراً. وهذا يعني أن الجسر الذي يقام عليه لابد وأن يكون كبير بشكل واضح بمقاييس عصر الحروب الصليبية. وكان هذا الجسر يقع على الطريق المؤدي من فلسطين إلى دمشق والعكس. ولقد لعب هذا الجسر أدواراً عديدة أيام الحروب الصليبية، مثل دوره في معركة الصنبرة ودوره في حروب صلاح الدين مع الصليبيين. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص١٨؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٨٧٧م، ص١٦١؛

مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ٦، ص ص٢٨٥-٢٨٨، ٣١٣، ٣١٤. وعن هذا الجسر أنظر الخريطة رقم (١) في نهاية البحث.

(76) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.841; Mathew of Edessa, Armenia and the Crusades: Tenth to Twelfth Centuries : the Chronicle of Matthew of Edessa, trans. From armenian by. Ara Edmond Dostorian, Part. III. 62, University Press of America, 1993, p.214; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٩٩، ٣٠٠.

(٧٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢٣٤؛ عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، هامش رقم (٨٨)، ص١٣٦؛ أحمد المرعشلي وآخرون: الموسوعة الفلسطينية، جـ١، ص ص٢٧٢، ٢٧٦.

(٧٨) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٤، ١٨٥.

(79) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.841; أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(٨٠) جبل طابور يسمى أيضاً "جبل تابور" و "جبل الطور". و "طابور" لفظة يونانية معناها "المرتفع". أما العرب فيسمونه "جبل الطور" والمسيحيون يسمونه "الجبل المقدس" أو "جبل التجلي"، نظراً لاعتقادهم بأن السيد المسيح (عيه السلام) تجلى عليه. ويبلغ ارتفاع هذا الجبل نحو ٥٨٨ متراً فوق سطح البحر. ويبلغ عرضه نحو ٣.٥ كيلومتر. وكانت تغطيه غابات البلوط قديماً، أما اليوم فقلت فيه هذه الأشجار بشكل كبير. وهو يقع بالتحديد في الجزء الشمالي الشرقي من سهل زرعين (مرج بني عامر). ويبعد نحو ١٩ كيلومتر جنوب-غرب بحيرة طبرية. أنظر: William (S.), A smaller dictionary of the Bible, for the use of schools and young persons, London, 1893, p.551; Skolnik (F.) and Others, Encyclopedia Judaica, Vol. 19, Detroit, 2007, pp.426, 27؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص٤٨، ٤٩.

(٨١) وادي الفجاس يوجد في شمالي فلسطين، وتنحدر مياهه من فوق قرون حطين وكفر سبت. ثم تنحدر تلك المياه ناحية الجنوب الشرقي حتى نهر الأردن. والغور الذي يمر منه هذا الوادي يسمى باسم "أرض الحماء" لشدة حرارتها. وينتهي وادي الفجاس قرب قريتي "العبيدية" و "بيتاني" الحاليتين ومستعمرة يبنئيل

Yavneel. ويسمى هذا الوادي حالياً باسم "وادي يبنئيل". أنظـر: مصـطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ٦، ص ص٢٨٨، ٤٣٠؛ يحيي نبهان: أطلس الوطن العربي، يافا ٢٠١٠م، ص٨٨.

(٨٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦١.

(٨٣) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ ٦، ص ص٤٥٢، ٤٥٣.

(٨٤) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص ص١٣٠-١٣٣؛ سـالم محمـد الحميـدة: الحـروب الصليبية، ج٢، ص٦٧.

(85) The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol.II, Jerusalem, 1922, p.106; عفاف صبرة: الأمير مودود بن التـونتكين، ص١٢٧؛ محمـد مـؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٥٤؛ محمد سـهيل طقوس: تاريخ الزنكيين، ص٧٦.

(86) Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p.75.

(87) El-Azhar (T.), Zengi and the Muslim Response to the Crusades: The politics of Jihad, New York, 2016, p.30.

(٨٨) أنظر الخريطة رقم (١) في آخر البحث.

(٨٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٤٩.

(٩٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٤٩؛ Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", pp. 401-404.

(91) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.843; ابن الأثير: الباهر، ص١٩.

(92) Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 75.

(٩٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤.

(٩٤) أنظر الخريطة رقم (٢) في آخر البحث.

(٩٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٥، ١٨٦.

(٩٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٠.

(٩٧) وقعت معركة حطين يوم السبت ٤ يوليو عام١١٨٧م الموافق ٢٥ ربيع الثاني عام ٥٨٣هـ، بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين، وحقق المسلمون فيها نصـراً حاسـماً. وللمزيد عن حطين، أنظر: مجهول: الحرب الصليبية الثالثـة (صـلاح الـدين وريتشارد)، ترجمة حسن حبشي، القـاهرة ٢٠٠٠م، ص ص٢٥-٣٦؛ ابـن الأثير: الكمل، جـ١٠، ص ص١٤٦-١٤٨؛ جوزيف داهموس: سبع معـارك

فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة١٩٩٢م، ص ص٩٧-١٢٣.

(٩٨) عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص١١٠؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين، ص٧٦.

(٩٩) عن هذه السهول والوديان وسط فلسطين أنظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص٥٠، ٥١، ٨٢.

(١٠٠) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص ص٣٠٢، ٣٠٣.

(١٠١) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص٥٣.

(١٠٢) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص١٥٤، ١٥٥.

(١٠٣) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص٧٠.

(١٠٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص١٩؛ ابن سباهي: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ص٤٥٠؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ص ص٧٠، ١٧٩.

(١٠٥) ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص١٤٤.

(106) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.840,841; ابن الأثير: الباهر، Grousset (R.), ص١٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ L'epopée des Croisades, p.75.

(107) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.841; ابن الأثير: الكامل، جـ٩، Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p.75. ص١٤٩؛

(١٠٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٢٣٤؛ عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص١٣٦.

(١٠٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(١١٠) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٠.

(١١١) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص٣٠٣.

(١١٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(113) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.840,841; ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٤، ١٨٥.

(١١٤) أنظر الخريطة رقم (١) في آخر البحث.

(١١٥) أنظر الخريطة رقم (٢) في آخر البحث.

(116) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.840,841; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥؛ ابن الأثير: الباهر، ص١٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 75.

(١١٧) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٢؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p.75.

(١١٨) الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ٢، ص٣٨٩.

(١١٩) ذكر متى الرهاوي رواية لم ترد عند غيره من المؤرخين المعاصرين. فهو يقول بأن أحد الأتراك المسلمين هوى على كتفي بلدوين أثناء المعركة بقضيب حديدي، إلا أنه نجا منها، أنظر: Mathew of Edessa, Armenia and the Crusades, III. 62, p.214.

(120) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.840; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١.

(١٢١) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", p.402; Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p.75.

(122) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.842; Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", p.402.

(١٢٣) عن هذه المرحلة من المعركة، أنظر الخريطة رقم (٢) في آخر البحث.

(١٢٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٤٩؛ الباهر، ص١٩؛ Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", p.402. ويلاحظ أن فوشيه ومتى الرهاوي قدما روايتين مغلوطتين عن حالة المسلمين والصليبيين عند تلال طبرية الغربية. فقد ذكر فوشيه أن الصليبيين صعدوا فوق هذه المرتفعات، بينما ظل المسلمون يراقبونهم من شبه جزيرة الإقحوانة. وهذا أمر ينافي الواقع، لأن المسافة بين الإقحوانة وتلال طبرية الغربية أكثر من ٢٠ كيلومتر. وما الذي يمنع المسلمون من حصارهم وهم المنتصرون والمتفوقون عددياً. أنظر: فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٢. أما متى الرهاوي فذكر أن الصليبيين صعدوا فوق طرف من تلك التلال، وصعد المسلمون قبالتهم في

الطرف الآخر من هذه التلال. وظل كل طرف يراقب الآخر دون قتال. أنظر: Mathew of Edessa, Armenia and the Crusades, III. 62, p.214. وكل من فوشيه ومتى الرهاوي له عذره في ذلك. فالأول لم يشارك في المعركة مع بلدوين، وظل في القدس. وبذلك كتب عن أحداث الصنبرة وهو بعيد عن ميدان هذه المعركة. أما متى فقد كتب عن هذه الأحداث وهو في الرها، أي أنه بعيداً أيضاً عن قلب الحدث، الأمر الذي أدى إلى عدم الدقة في الوصف عند المؤرخ الرهاوي. وتجدر الإشارة إلى أن كافة المصادر الأخرى، اللاتينية والإسلامية، أجمعت على أن الصليبيين صعدوا فوق مرتفعات طبرية، في حين ظل المسلمون محاصرين لهم، ومراقبين تحركاتهم عند سفوح تلك المرتفعات. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.840; ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٤٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠١؛ Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 74.

(١٢٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٤٩؛ Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p.74.

(126) Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", p. 402.

(١٢٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(١٢٨) ابن الأثير: الباهر، ص١٩.

(١٢٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

(١٣٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

(131) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.843.

(١٣٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٠٢.

(١٣٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٢.

(١٣٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

(135) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.843; وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٣.

(١٣٦) ذكر ألبرت الأيكسي أن عدد الحجاج القادمين من الغرب أثناء معركة الصنبرة بلغ نحو ١٦ ألف حاج كاملي التسليح. وهو ما يعني أن عددهم يفوق عدد قوات الجيش الإسلامي والصليبي مجتمعة. وهو ما دعانا إلى القول بقلق القادة الإسلامي

من هذه الإمدادات العسكرية الضخمة في صورة هؤلاء الحجاج الجدد. أنظـر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.843; Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 75.

(١٣٧) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٠؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٣؛ Grousset (R.), L'epopée des Croisades, p. 75.

(١٣٨) فوشيه: تاريخ الحملة، ص١٥٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥١؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ٢، ص٣٨٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٠١؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ١، ص٢٥٩؛ رشيد الجميلي: الأمير مودود، ص٤٧٣.

(١٣٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(140) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.841.

(141) Mathew of Edessa, Armenia and the Crusades, III. 62, p.214; ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(142) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.841; رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص١٥٧.

(١٤٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

(١٤٤) عن هذه العمليات عام ١١١١م/٥٠٥هـ، بين المسلمين والصليبيين أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٧٨-١٨٢؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٤٨، ١٤٩؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٢٧٠-٢٧٥؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية،جـ١، ص ص٢٥٦، ٢٥٧.

(١٤٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٢.

(146) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.841-844; وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٣٠٠-٣٠٢؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٥٠، ١٥١؛ Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", p. 402.

(١٤٧) أنظر الخريطة رقم (١) في آخر البحث.

(١٤٨) ميشيل بالار: الحملات الصليبية، ص١٤١.

(١٤٩) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٠؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٢؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٠٢؛

عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص١٣٠؛ محمد المقدم: الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ص٩٦-١٠١.

(١٥٠) عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، ص ص١٢٤، ١٢٥.

(١٥١) آقسنقر البرسقي قائد سلجوقي تولى حكم الموصل عام ١١١٤م/٥٠٨هـ في عهد السلطان محمد بن ملكشاه. وعزل من منصبه وعاد إليه عام ١١٢١م/٥١٥هـ في عهد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه. وقد تعرض آقسنقر، كسابقه شرف الدين مودود، للإغتيال بيد الغدر من عناصر الاسماعيلية النزارية، وهو قائم في صلاة الظهر، أحد أيام الجمعة من عام ١١٢٦م/٥٢٠هـ. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٨؛ ابن الأثير: الباهر، ص٢٤؛ عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، ص ص١٢٦- ١٤٨.

(١٥٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٠. والجدير بالذكر أن هذه الرواية لم ترد إلا عند ابن الأثير الذي ذكرها في نهاية روايته عن معركة الصنبرة، والذي ذكرها عن أبيه، حيث قال: "حدثني أبي ...." ثم أكمل الرواية.

(١٥٣) رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص١٥٨.

(١٥٤) محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين، ص٧٧.

(١٥٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

(١٥٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص٢٥٧.

(١٥٧) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٠٢.

(158) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, p.845; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٣ Grousset (R.), ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٢؛ L'epopée des Croisades, p.75.

(١٥٩) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٢.

(١٦٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦؛ ماير: تاريخ الحملات الصليبية، جـ١، ص١١٠.

(١٦١) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٣٠٢.

(162) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, pp.849,50; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٥٥، ١٥٦؛ عفاف صبرة: الأمير مودود بن التونتكين، ص١٣٢.

(١٦٣) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص٣٣٣؛ مرفت عثمان حسن: التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠١٠م، ص١٨٦.

(١٦٤) ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٤٨١-٥١٧هـ/١٠٨٨-١١٢٣م)، جـ١، جامعة أم القرى ١٩٨٧م، ص ص٥٦٢، ٥٦٣؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ص١٨٦، ١٨٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ص١٥٠، ١٥١؛ الباهر، ص١٩؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص٢٥٧؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ٢، ص٣٨٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٢، ص٣٤.

(١٦٥) فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص١٥٣، ١٥٤.

(١٦٦) فوشيه: تاريخ الحملة، ص١٥٤.

(١٦٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص٣٠١، ٣٠٢.

(١٦٨) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص٨١، ١٠٢.

(١٦٩) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٥٦.

(170) El-Azhar (T.), Zengi and the Muslim Response to the Crusades, pp.61, 141.

(١٧١) سالم محمد الحميدة: الحروب الصليبية: عهد الجهاد المبكر، جـ٢، ص ص٦٥-٦٧، ٧٢.

(١٧٢) عماد الدين خليل: المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، ص١٢١.

(173) Grousset (R.), L'epopée des Croisades, pp.75,6.

(١٧٤) رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص١٥٧.

(١٧٥) جاى لوزجنان نبيل صليبي من بواتو Poiton. تزوج من ميلسندا ابنة بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤-١١٨٥م/٥٦٩-٥٨١هـ). دخل جاي في نزاعات وخلافات طويلة مع بلدوين الرابع لم تنته إلا بموت بلدوين. وقد كان جاي هو قائد الصليبيين في معركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ. ووقع أسيراً في يد صلاح الدين الذي أطلق سراحه بع تعهد منه بعدم المشاركة في قتال ضد صلاح الدين. وقد توفي جاي لوزجنان عام ١١٩٤م/٥٩٠هـ. أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص ص٢٥٣، ٢٥٤؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٥٠؛ Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, pp.549,550.

(176) Fink (S. H.), "The Foundation of the Latin States", pp. 402,403.

(177) Tyerman (Ch.), God's War: A New History of the Crusades, Harvard University Press, 2008, p.203.

(١٧٨) إتش. إ. ماير: تاريخ الحملات الصليبية، جـ١، ص ص١٠٩، ١١٠.

(١٧٩) سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ص١٠٠.